(الجزء العشرون)  (السنة الاولى)

الاسكندرية ١ يناير (كانون ثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شعبان سنة ١٣١٧

القرن العشرون

(وماذا عمل القرن التاسع عشر)

يصدر هذا الجزء من الجامعة يوم انتهاء القرن التاسع عشر ودخول القرن العشرين . فوداعاً ايها القرن الراحل وسلاماً ايها القرن القادم . لقد نزل الاول في مهاوي التاريخ وطلعت غرة الثاني طلوع مولود جديد على الوجود . فمبارك هذا المولود

وقد جرت عادة قدماء المصريين انهم عند موت ملوكهم يجتمعون فيتبادلون اراءهم في الساحات العمومية بشأن الملك الراحل عنهم منتقدين حكمه واعماله ذامين منها ما يوجب الذم ومثنين على ما يوجب الثناء . والقرن التاسع عشر هو الآن منا بمثابة ميت فليس يخلو من فائدة ان ننظر في اعماله وما تم في عهده من خير وشر

ولسنا نصرف الفكر الى الامور المادية فقط فنجعل الكلام مقصوراً على تاريخ الاختراعات العظيمة التي اخترعت في هذا القرن والاكتشافات العجيبة التي اكتشفت . كلا فان هذه الامور المادية ليست الا ثمرة حياة هذا القرن الادبية . لذلك ننظر في اعماق هذه الحياة الادبية ليكون كلامنا شاملاً جميع انفاس القرن التاسع عشر . وتوصلاً لذلك نقسم الكلام

الى ثلاثة اقسام : كلام على عالم السياسة . كلام على عالم العلم . كلام على عالم الادب . فنقول

***

﴿ اعمال القرن التاسع عشر السياسية ﴾ وُلد هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسوية ومدافع نابوليون يدوي صداها في الجهات الاربع . ومن غريب الاتفاق ان ننشر في آخر يوم من القرن التاسع عشر تفاصيل اهم حادث سياسي حدث في بدايته وهو فتح الشعب للباستيل كما ترى في قسم الرواية . وقد كان من تاثير هذه الثورة انها وضعت اساس الحرية في العالم على اسس ثابتة لا تتزعزع وفتحت عيون الامم في الشرق والغرب فكأن تلك الشعلة التي احرقت فرنسا حيناً من الزمان قد انارت الدنيا باسرها

نخفت وطأة الاستعباد وخاف الملوك سوء المنقلب فاصبحوا يعتبرون الرعية ابناء لهم لا خداماً وعبيداً يسومونهم ما تسام الانعام من الذل والحيف . وسقطت الحواجز العظيمة التي كانت بين الطبقات فاصبح الشريف شريفاً بادبه لا بنسبه وتساوى الناس لدى القانون ومذ تساووا عرفوا انهم اخوان بعضهم لبعض لا خصوم واعداء

ثم اتسعت حلقة هذا الاخاء بحكم الناموس الطبيعي وبواسطة مبدأ الحرية والمساواة الذي تقرر في العالم . فقال الشارعون اذا كان من حقوق الفرد ان يكون حراً مساوياً لغيره في الحقوق والواجبات وجب ان يكون الشعب كذلك فنشأ من هذا القياس الصحيح حق كل امة في الاستقلال والمساواة . فاسقطت عن اعناق الامم نير العبودية السياسية كما اسقط عن اعناق الافراد نير العبودية الاجتماعية . فكان ذلك منشأ ثورات شديدة زُعزعت لها اسس الارض وانكسرت فيها قيود امم كثيرة فاصبحت حرة مستقلة تحت قبة السماء

ولا ريب ان عمل القرن التاسع عشر من هذا القبيل ناقص نقصاً عظيماً ولكنَّ هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله . واذا لم يكن له من فضل غير المناداة بالحرية والمساواة للافراد والشعوب لكفاه ذلك فضلاً على القرون الخالية . ولكنه لم ينادِ بذلك فقط بل اعطى الافراد والشعوب قوة توصلهم الى اغراضهم اذا راعوا النواميس الطبيعية واتبعوها بلا افراط ولا تفريط

﴿ اعمال القرن التاسع عشر العلمية ﴾ وقد كان لاعماله السياسية تاثير عظم على اعماله العلمية . ولا نقول ان العلم كان غير موجود قبله فان اهم اسس العلوم الطبيعية لم توضع في القرن التاسع عشر بل قبله . ولكن امتاز القرن التاسع عشر بكونه اطلق العقول

من القيود وهدم الحواجز القوية التي كانت تحول دون نموها وتقدمها . فقد روى الفيلسوف جول سيمون ان التعليم في فرنسا كان في القرن الثامن عشر وما قبله محصوراً في طبقة الاشراف والوسط في حين ان جمهور الشعب كان في ظلام من الجهل والغباوة . وقال هذا الفيلسوف مستشهداً على فضل هذا القرن « انني الآن اشغل مقاماً من اسمى مقامات بلادي (عضوية مجلس الشيوخ) ولكنني لولا الثورة الفرنسوية التي اطلقت قيد العقول لكنت الآن اما صاحب صناعة يدوية في قريتي او عضواً في احدى الجمعيات الاكليريكية »

ومن نتائج هذا الاطلاق الذي اشار اليه الفيلسوف عناية الحكومات بابناء عامة الشعب كما تعنى بابناء خاصته . وهذا منشأ التعليم الالزامي المجاني الذي اتبعته الامم الغربية مع انه لم يقم احد بعد الى الدعوة اليه في البلاد الشرقية

وقد وضعنا التعليم الالزامي في مقدمة اعمال هذا القرن العلمية لانه في نظرنا اهمها كلها. نعم لا ينكر احد تقدم العلوم الطبيعية الى حد غريب . فقد قاست هذه العلوم مساحة الفضاء . وعرفت مادة الكواكب . واخترعت المركبات التجارية في البر والبحر . واوجدت التلغراف فقصرت به وبالسفن المذكورة آنفاً شاسع المسافات واختصرت الابعاد ومزجت العالم بعضه ببعض مزجاً مفيداً . لقد اكتشفت المكروبات فدفعت عالم الجراحة والطب الى الامام دفعاً شديداً . لقد اتت من الاكتشافات والاختراعات ما لو قام اجدادنا اليوم من قبورهم ورأوه لحسبوا انفسهم انتقلوا الى عالم الف ليلة وليلة او ظنوا ما يرونه سحراً مبيناً — كل ذلك نعرفه ونعجب به . ولكن يعجبنا اكثر منه كله ذلك المبدأ السامي الذي اجمعت عليه في هذا القرن اكثر الامم الغربية وهو من مخترعات القرن التاسع عشر . ونريد به : التعليم المجاني الالزامي لخاصة الامة وعامتها

فبارك الله فيك ايها القرن الراحل على هذا العمل العظيم الذي عملته وذلك المبدأ السامي الذي اقررته . فانه اذا لم يكن لك في عالم العلم الا هذا الفضل لكفى ان يعلي بين القرون شانك ويخلد اسمك

﴿ اعمال القرن التاسع عشر الادبية ﴾ واهم اعمال القرن التاسع عشر الادبية عتق الرقيق . فقد كان الانسان الظالم يشتري في القديم ويبيع اخاه في الانسانية والحكومات ساكتة والفلاسفة وعلماء الاداب لايحرمون هذه التجارة المنكرة . فان اريسطو وافلاطون شهدا في زمانهما عذاب الرقيق ولم تتحرك احشاؤهما حنواً عليه بل ان اريسطو نفسه كان

له عبيد وارقاء . ولبث العالم في هذه الخشونة والهمجية حتى جاء القرن التاسع عشر فحرم ان يتاجر الانسان باخيه الانسان . وهي احدى بركات هذا القرن وخيراته

ومن هذه البركات ايضاً ارتقاء الادب السياسي . فانه قد مضى الزمان الذي كانت فيه المدن والمقاطعات تباع وتشرى بين الحكومات كانها انعام سائمة . وانقضى ايضاً ذلك الجنون السياسي الذي كان في العصور الخالية وهو جنون الفتوح وحب الاستيلاء فقلت الحروب وارتقت اسبابها واصبح كلٌّ من المتحاربين يدعي انه مضطر اليها ومُدافع لا مهاجم فيها مما يدل على ارتقاء ادب الحكومات . ومما يدل على ذلك ايضاً تصريح الحكومات نفسها بحب السلامة وحسن النية في مجالس الامة التي انعقدت في ايام القرن التاسع عشر الاخيرة . فان حكومات فرنسا والمانيا وايطاليا تبادلن في هذه المجالس منذ نحو شهر على السنة المسيو ديلكاسه والمسيو دي بيلوف والمركيز دي فوستا الطف عبارات المجاملة . فظاهرٌ من ذلك انه قد مضى في السياسة دور الهجوم والافتخار بالحرب وجاء دور الدفاع والافتخار بالسلام

وماذا نقول عن ذلك النور السماوي الذي خفق هنيهة في العالم على يد القيصر العظيم نقولا الثاني امبراطور روسيا . لاريب ان اقتراح القيصر عقد مؤتمر السلام في لاهاي قد كان بمثابة تتويج ادبي لهذا القرن . واذا كان هذا المؤتمر لم يات بثمرة عاجلة فانه سياتي بثمرة آجلة . وسيبقى هذا الاجتماع الذي عقدته الامم في لاهاي وتصافحت فيه عناصر الانسانية كلها تحت انظار ويلهلمين الفتاة ملكة هولاندا — سيبقى هذا الاحتفال اكبر عمل ادبي عملته الانسانية في القرن التاسع عشر وفي القرون الماضية

ومن اعمال هذا القرن الادبية ايضاً صرف الحكومات شيئاً من عنايتها الى الضعفاء والتعساء ومنع العقاب من غير محاكمة وحرية الدفاع والميل الى منع الاعدام اي التحريم على الانسان قتل الانسان . وكذلك تخفيف مصائب المجرمين باعتبارهم مرضى في عقولهم يجب مداواتهم بتحسين احوالهم وتعويدهم وهم في السجون العمل السهل المفيد لابدانهم وعقولهم . وتخفيف ويلات الحروب وفظائعها بقوانين دولية مرعية وانشاء المستشفيات العمومية والملاجئ الخيرية للشيوخ والاولاد وتاليف لجان وجمعيات لتربية الايتام واللقطاء الذين لا ذنب لهم غير ولادتهم

ولا نعلم في اي قسم نضع تلك الحركة الاقتصادية الغريبة التي امتاز بها الربع الاخير من القرن التاسع عشر . افي جملة الاعمال السياسية ام العلمية ام الادبية . ولكن نرجح

وضعها في قسم رابع نفرده لها ونسميه « اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية »

فان الحركة الكبرى التي غلبت على جميع الحركات في نهاية هذا القرن هي الحركة الاقتصادية التي سببتها الحركة الاجتماعية وجهاد الشعوب في هذه الحياة وتنازعها البقاء وتباريها في حلبة التجارة والصناعة والزراعة . حتى ان الدول اصبحت ولا همَّ لها الا المسائل الاقتصادية واذا خيف من شبوب نار حرب بينها فانما يكون سببها المسائل الاقتصادية لان دور تنازع السلطة بينهن قد مضى وجاء دور التنازع على الامور الاستعمارية التي بها تتعلق المسائل الاقتصادية والتجارية

ومن اعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال امر الاشتراكيين استفحالاً نفع المبادىء الديموقراطية وافاد ضعفاء الامم افادة تذكر لهم بالشكر من هذا الوجه . وتفصيل ذلك يطول ايراده فنكتفي بهذا البيان الوجيز

***

هذا اهم ما رأينا بسطه عن اعمال القرن التاسع عشر . وكله حسن نافع مفيد يستحق عليه القرن ثناء ابنائه وثناء الاجيال الآتية

ولكن بازاء هذه الجوانب اللامعة البراقة التي اظهرناها للقراء الا يوجد جوانب اخرى سوداء مظلمة ؟ الا يوجد للقرن التاسع عشر سيئات بازاء هذه الحسنات ؟

لقد اقدم هذا القرن على حل مسائل لاقبل له على حلها كلها دفعة واحدة . فقد اطلع شمس الحق على الناس فانفتحت لاشعتها الباهرة عيون الكبير والصغير فكانت للكبير بمثابة النور من الخفاش وكانت للصغير بمثابة النار من الفراش . وهكذا بالرغم عن اشراق هذه الشمس بقي الكبير معربدًا شامخ الانف والصغير مدوسًا مسحوقًا . اليس هذا الذي تقوله الآن مدافع الانكليز والبوير في افريقيا الجنوبية

لقد ارتقت في هذا القرن الاداب السياسية ولكن انحطت الاداب الشخصية . فان الشر ينمو بنمو التمدن والرذائل على انواعها تتكاثر بتكاثر الثروة وتزداد بازدياد اسباب المدنية . فالكذب والرياء والخداع والاضرار بالناس والاحتيال لسلبهم وغشهم — كل ذلك اصبح في القرن التاسع عشر امرًا شائعًا مقبولاً وربما لُقبَ صاحبه بالمهارة والدهاء وحسن السياسة . الفجور — وافظيعتاه — قد اصبح مباحًا ويكاد يكون شرعيًا . المسكرات تقتل في بعض البلاد ٧٥ في المئة من سكانها . الجرائم والجنايات تملأ السجون بالاشقياء . المبادئ الدينية تضعف وتنحل شيئًا فشيئًا . الفضيلة تخفض جنحيها بازاء الرذيلة . الشعوب

لا تزال تتخبط في ظلام الجهل وليس لها خبز تغذو به ابدانها وتعليم تغذو به عقولها . الحياة اصبحت فوضى لان هذا القرن اعطى الانسانية قوة الدفع ولم يعطها قوة الجذب . اعطاها الحرية ولم يعطها الاخاء والمحبة . فتنافرت القلوب واختلفت الاهواء وقام الناس بعضهم على بعض باسم الحرية والدين والحرية الحقيقية والدين الصحيح براء منهم ومما يفترون . وفي وسط هذه الحياة الزوبعية الهائلة التي نشأت في هذا القرن انقلب ميزان الانسانية وفقدت الهيئة الاجتماعية قيادة قوادها لان كل فرد منها اصبح قائداً مستقلاً بنفسه . اصبحوا كالبصل كلهم رؤوس كما قال الفيلسوف جول سيمون . فتأمل هذه الحياة الجديدة وسرعة انقلابها وشدة خطرها بازاء الحياة القديمة الهادئة وبساطة المعيشة فيها وقناعة اهلها وتسليمهم ورضاهم باحوالهم

ولكن القرن التاسع عشر لا يستحق اللوم الشديد اذا كان لم يحل جميع المسائل التي اقدم عليها فانه لكثرة هذه المسائل ناء بها ورزح تحتها بعد ان حل ما حله منها . فاملنا الآن موضوع فيك يا ايها القرن العشرون . كن للانسانية خيراً من اخيك القرن التاسع عشر . لا تسمح ان يحدث فيك ما حدث في اخيك من السيئات وكمل كل تلك الحسنات. اسحق بفأس العقل والادب والدين جراثيم الشر والفساد والرذيلة التي ظهرت في القرن الماضي اخيك ومهد للانسانية طريق السعادة التي تنشدها فانها قد تعبت في طلبها دون ان تدركها. حتى اذا اكملت عملك واتممت اجلك وقف ابناؤنا في ختام ايامك الآتية وقالوا مؤرخين اعمالك : مباركٌ القرن التاسع عشر على ما عمل . ومبارك القرن العشرون على ما اكمل

فسر بامانٍ وسلام يا ايها القرن العشرون

يا راقدَ الليل مسروراً باوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله ... فرب آخر ليل اجج النارا
عادت ترابًا اكف الملهيات وقد ... كانت تحرك عيدانًا واوتارا

(ابو العتاهية)

باب المقالات

ثلاث مدن تحت الرماد

في اواخر القرن الاول للميلاد كان في البر الواسع الذي يحيط بمدينة نابولي الايطالية وحيث توجد اليوم القريتان الايطاليتان بورتيزي و ريزينا — ثلاث مدن تدعى الاولى بومباي والثانية هركيلانوم والثالثة ستابيا . كانت هذه المدن الثلاث قبل سنة ٧٩ للميلاد المسيحي تحت حكم الرومان وكان التمدن الروماني فيها على اشده . فقد كانت فيها الفنون زاهية زاهرة منازلها منظمة وشوارعها فسيحة واسواقها غاصة بالناس وفيها مرسح عظيم للتمثيل والالعاب يسع ١٠ الاف شخص . وكانت محاطة باراض واسعة خصيبة مغروسة بشجر الزيتون والارز والغار وحدائق غناء فيها الورود والازهار تعطر رائحتها الزكية هواء ايطاليا الجميلة

ولكن هذه المدن كانت قائمة قرب سفح جبل يزوف (فزوف) ذي البركان المشهور بهذا الاسم . ففي ٢٣ اغسطس سنة ٧٩ للميلاد وسكان هذه المدن الثلاث مشغولون بعضهم بالاعمال اليومية وبعضهم بالملاهي والاجتماعات ابصروا الدخان يغشى قمة هذا الجبل منبعثاً من فوهة البركان . فخافوا ان يعود البركان الى الثورة لانهم وجدوا في ثورته في شهر فبراير من تلك السنة عناءً وبلاءً لما حدث من الزلازل في ذلك الحين

وكان خوفهم في موضعه . فان الجبل ما لبث ان توارى عن ابصارهم بما جاله من غيوم الدخان الكثيفة . ثم صار هذا الدخان يتخلله وميض نار كانه البرق اذا خفق حتى اذا انتصف النهار هبت ريح من صوب الجبل تحمل الى تلك المدن وما حولها من القرى رماداً مقذوفاً من فوهة البركان ولفحات حر شديدة

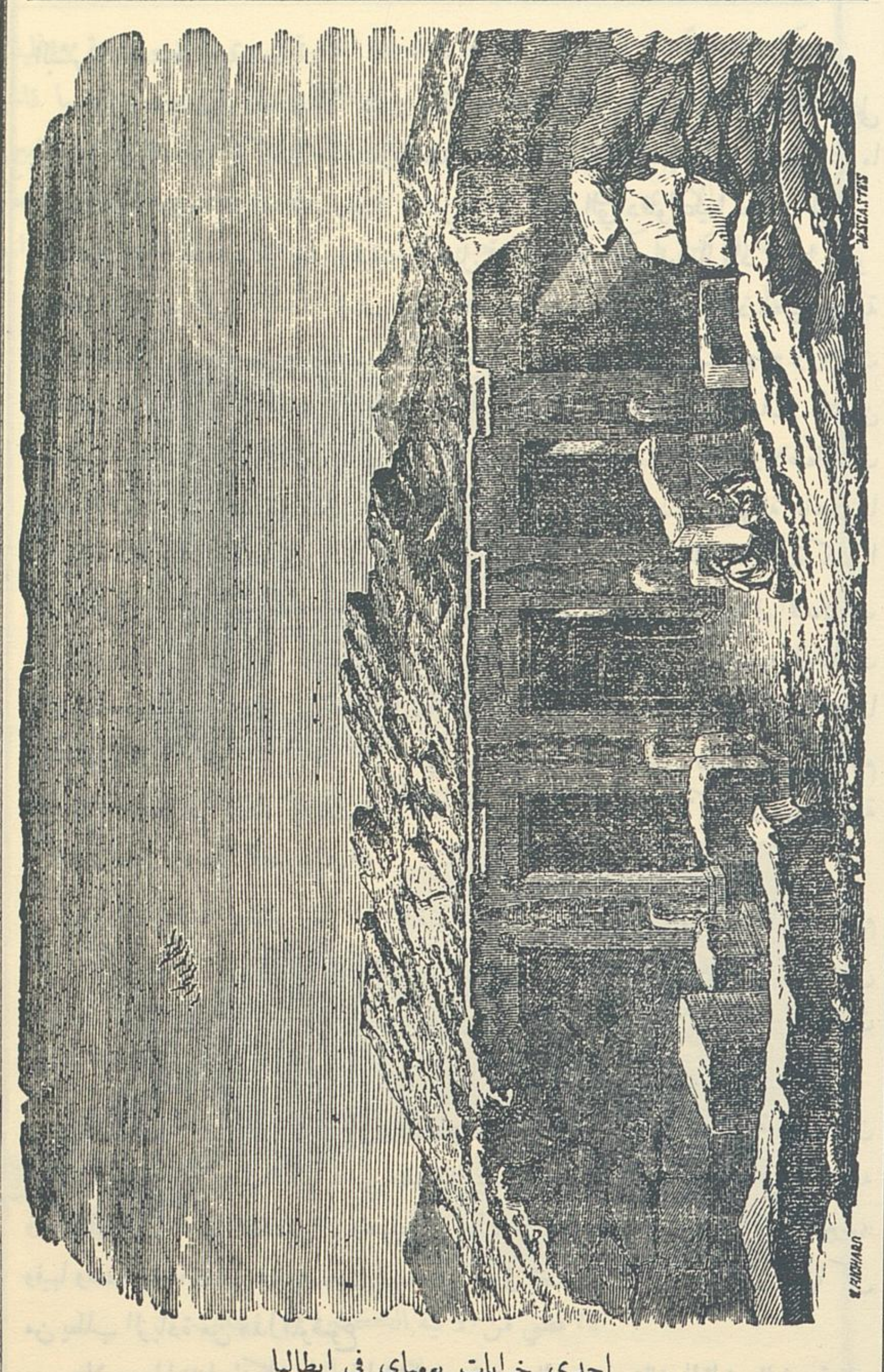
فذعر جميع السكان في تلك المدن والقرى . فترك الفلاحون حقولهم ولجأوا الى منازلهم . واشرأبت اعناق السكان نحو يزوف وصدورهم ملئها الخوف والامل . وازداد السكان ذعراً وخوفاً عند رويتهم تكاثر الدخان على قمة الجبل ومشاهدتهم تساقط حجارة حامية مع الرماد وذلك دليل عندهم على شدة ثورة البركان

فثار ثائر الناس في كل الجهات وخيل لهم ان جهنم فتحت ابوابها وقذفتهم بنيرانها .

فلجأوا الى الفرار تخلصاً من الرماد والنار . فسار منهم افواج الى الشواطئ يقصدون ركوب السفن الى بلاد آمنة . واما الذين لم يستطيعوا السفر اما لعجزهم او لرغبتهم في البقاء في وطنهم حفظاً لاملاكهم واموالهم فانهم تركوا الخلاء لشدة تساقط الرماد والحجارة الكبيرة الحامية ولجأوا الى المنازل واغلقوا الابواب والنوافذ . فمنعوا بذلك وصول الرماد ولفحات النار اليهم . ولكن ما لبثت جدران المنازل ان تحركت حولهم وماجت الارض بهم فعلموا بان الارض تزلزل زلزالها وتخرج اثقالها فاصبحوا بين ميتتين : الموت تحت الرماد او الموت تحت الانقاض . فليتصور القارئ حالة اولئك التعساء وقد امطرتهم السماء ناراً تغطيهم وتهددتهم الارض بفتح جوفها لابتلاعهم . وقد كان بين هولاء التعساء امهات واطفال وشيوخ ضعفاء غير الرجال والنساء الاقوياء . ولكن يزوف لم يشفق عليهم فزادهم من حممه ورماده حتى اشبهت مقذوفاته وابلاً ينصب تسكاباً . فغطى الرماد الارض وحطمت الحجارة النوافذ والابواب والمنازل . واضطرمت نار يزوف في تلك المدن فاحرقت من منازلها ما احرقت وغطت الحمم من ارضها ما غطت فاختنق كل ما في تلك المدن وقراها من الاحياء ولم تبق فيها نسمة حية بل نامت كلها نوم اليأس والاضطراب تحت قشرة سميكة من الرماد .

ثم ثار هذا البركان مرات اخرى بعد هذه المرة اخصها سنة ٤٧٢ للميلاد فزادت هذه القشرة من الرماد والحمم حتى بلغ سمكها من ٢٠ الى ٣٤ متراً فاصبحت تلك المدن الثلاث في جوف الارض بما فيها من المنازل والاسواق والحوانيت والنفائس والثروة والبشر والحيوانات . ونبت العشب على سطح الارض فوق تلك المدن المدفونة حية واشرقت شمس ايطاليا الجميلة عليها واصبح ذلك البركان القاتل اكثر رأفة واقل حدة من ذي قبل فقامت على ذلك الرماد قرى جديدة مكان المدن القديمة وفي جملة هذه القرى القريتان بورتيزي وريزينا الايطاليتان اللتان تقدم ذكرهما

وفي سنة ١٧١٩ للميلاد وقد نسي الناس تلك المدن المدفونة كان بعض من سكان هاتين القريتين يحفرون بئراً فحفروا الى عمق ٣٠ متراً . فلما بلغ الحفارون هذا العمق وجدوا انفسهم في وسط بناء عظيم . وعثروا في طريقهم على تمثالي امرأتين فاخرجوهما وجعلوا يتوسعون في النقب والتفتيش حتى كشفوا كل ذلك البناء فوجدوا انه المرسح القديم الذي كان في هركولانوم . فاقاموا يحفرون في هذه المدينة وفي ما جاورها فكشفوا عن قسم منها ومن مدينة بومباي فشاهدوا فيها منظراً من اجمل المناظر التي شاهدتها العين



احدى خرابات بومباي في ايطاليا

البشرية واشدها رهبة ومهابة

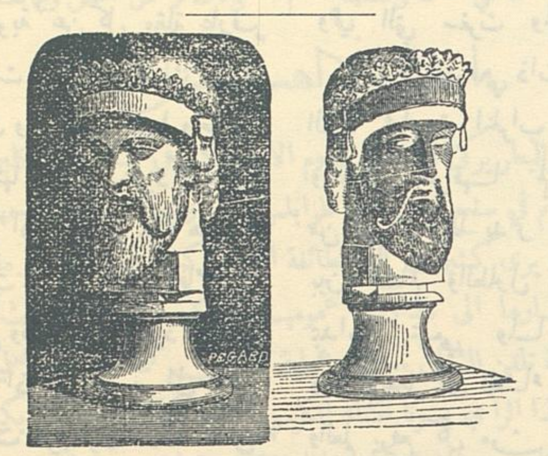
فقد وجدوا هذه المدينة كما كانت منذ نحو ١٧ قرناً . الشوارع متسعة مبلطة وعلى بلاطها اثار عجلات المركبات . والمنازل منظمة ابوابها ونوافذها منها ما هو مقفل ومنها ما هو مفتوح . ووجه الغرابة انهم وجدوا البشر فيها في الحالة التي دفنوا عليها تحت الرماد فان منهم من وجدوه يستر انفه وعينيه بمنديل في يده حتى يمنع نفوذ الرماد اليهما وهو يسخط ويتشنج غضباً ويأساً . ومنهم من وجدوه قابضاً على كيس مفعم بنقود ذهبية وفضية وهو يحاول الفرار بها . ووجدوا ايضاً اناساً متعانقين تدل هيئاتهم على انهم ازواج وزوجات وخاطبون وخاطبات آثروا ان يموتوا معاً جنباً الى جنب ووجدوا ايضاً امهات يضممن اطفالهن بين ايديهن واطفالاً متعلقين في اعناق امهاتهن ودخلوا المنازل والاصطبلات فوجدوا فيها الكلاب والخيول هياكل عظام ممدودة على الثرى واعناقها مربوطة باعنتها والاعنة مشدودة الى مسامير في الجدران ووجدوا بين تلك الجدران الخاوية الخالية كثيراً من الاموال والنفائس والتحف والمصنوعات الثمينة . وشاهدوا على جدران الاسواق الاعلانات التي كان يلصقها بها رجال السياسة ليستميل بعضهم الشعب الى ان ينتخبه للوظائف العمومية دون سواه . وشاهدوا ايضاً فنادق تلك المدينة وحوانيتها ومعاملها ومحاكمها ومجلسها البلدي وبورصتها ومراسحها وساحاتها العمومية وغير ذلك من لوازم الاجتماع . فكشفوا الغطاء بذلك عن التمدن الروماني واغناهم هذا الاكتشاف عن مكتبة كبرى تبحث في هذا التمدن واحواله

ومساحة مدينة بومباي تبلغ ٦٦٢ الف متر مكعب ولكنهم لم يكشفوا منها الى اليوم الا ٣٥٠ الف متر وهم يجدون في النقب والحفر كل عام فيعثرون من حين الى حين على اكتشافات جديدة تكشف الغطاء عن بعض شؤون التمدن الروماني مما يسر به المؤرخون وعلماء الاثار ومحبو الفنون سروراً كبيراً

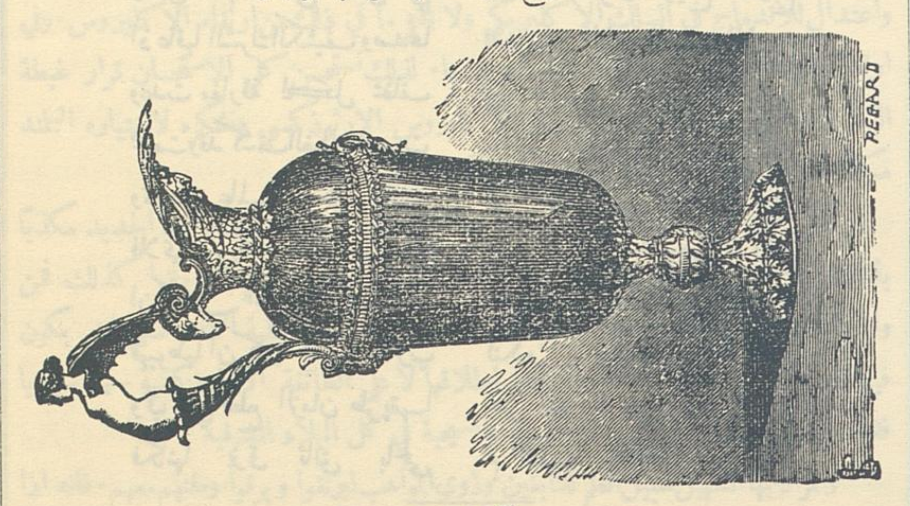
وقد اذكرنا اليوم هذه المدن التي دفنها بزوف تحت الرماد رواية انكليزية للورد ليتن نشرتها في اللغة العربية في الشهر الماضي حضرة السيدة الفاضلة والكاتبة الاديبة فريدة عطيه وسنقرظها في الجزء القادم . وعنوان هذه الرواية هو «ايام بومباي الاخيرة» وفيها وصف بومباي قبل دفنها تحت الرماد في سياق قصة تروق مطالعتها فنرد اليها كل من يطلب الزيادة من هذا الموضوع

ولا يسعنا اختتام الكلام في هذا الشان دون التامل في تلك الالوف البشرية التي

هلكت اختناقاً بين الردم وتحت الرماد والحجارة الحامية في يوم واحد من سنة ٩٧ للميلاد. نتأمل في ذلك فتظهر لنا الطبيعة في اشد مظاهرها رهبة ومهابة وتبدو نواميسها قاسية شديدة لا ترحم ضعيفاً ولا تخاف قوياً . ويتمثل لنا هذا العالم وحشاً هائلاً ذا ملايين من الرؤوس والايدي يسير في فضاء الكون الى غرض معلوم لديه لا يهمه ضحك الضاحكين وبكاء الباكين بل كل ذلك لديه هباء منثور ذاهب في الهواء . فما اقسى هذه النواميس احياناً . وما اعدلها احياناً



قطعتا شطرنج وجدتا في خرائب بومباي .



اناء فضي من الآنية الكثيرة التي وجدت

في خرائب بومباي

وصف النفس لابن سيناء

هو ابلغ ما قيل في تصور هبوط النفس من الاماكن العليا الى الارض ثم انطلاقها من الحبس في الارض الى وطنها القديم

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك فهي ذات توجع
انفت وما الفت فلما واصلت الفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها من ميم مركزها بدار الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى بمدامع تهمي ولما تقلع
حتى اذا قرب المسير الى الحمى ودنا الرحيل الى الفناء الاوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتظل ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدها نقص عن الاوج الفسيح الاربع
وغدت مفارقة لكل مخلف فيها حليف الترب غير مشيع
هجعت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين نخرقها لم يرقع
فلاي شيء اهبطت من شامخ سام الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب لتكون سامعة لما لم يسمع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكانها برق تالق بالحمى ثم انطوى فكانه لم يلمع

رسوم الرواية — وضعنا في الرواية في هذا الجزء ٣ رسوم منها رسمان للباستيل ورسم مارات صاحب الشان العظيم في حوادث الثورة الفرنسوية وضاق هذا الجزء عن باقي رسوم المجلة

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

احياء المواهب الشرقية

شرع الكرسي البطريركي الانطاكي للروم الارثوذكس في انشاء كلية اكليريكية بطريركية في دير البلمند القائم في سفح لبنان فوق طرابلس شام وجعل ميعاد افتتاحها اول يناير على الحساب الشرقي. ويرى كثيرون ان الطائفة الارثوذكسية في الشام غير مفتقرة الى كلية اكليريكية افتقارها الى مدارس عمومية الذكور وخصوصاً للاناث او الى مدارس صناعية وزراعية تلقن الشبان معارف عملية لتكون تتمة لمعارفهم العلمية. الا اننا مع تسليمنا بصحة هذا الرأي يسرنا انشاء الكرسي الانطاكي كلية اكليريكية لان هذه الكلية تفيد الاكليروس الارثوذكسي افادة عظيمة اذ تعد شباناً ذوي ادب ومعرفة واعتدال للاندماج في السلك الاكليريكي ولا يخفى ما في ذلك من ارتقاء الاكليروس وفي ارتقائه ارتقاء الطائفة نفسها لانه قائدها ورئيسها. لذلك نستحسن كل الاستحسان قرار غبطة البطريرك المحترم لانه وسيلة الى ترقية الاكليروس الارثوذكسي ونشكره لاختياره البلمند مكاناً لهذه الكلية فان هواء لبنان مشهور بكونه يربي رجالاً

لكن بما اننا نرى هذا الكرسي قد بدأ يخطو الى الامام بقيادة غبطة قائده الجديد مكذباً بذلك زعم الذين يزعمون بان الشرقيين اموات وقد قُضي عليهم بان يبقوا كذلك فمن واجباتنا ان نذكر هنا ملاحظة خطرت لنا عند معرفتنا بانشاء كلية البلمند عسى ان يكون فيها نفع وفائدة. وهذه الملاحظة يجوز اطلاقها لا على الطائفة الارثوذكسية في سوريا فقط بل على جميع الطوائف الاسلامية والمسيحية في كل البلاد الشرقية

والمراد بها تسهيل سبيل العلم للنابغين وذوي المواهب ليرتقوا ويرقوا وطنهم معهم. فانه اذا كان لا سبيل لنا الى جعل التعليم الزامياً لاسباب سياسية وغير سياسية ولم يكن في وسعنا تعميم المدارس والانفاق عليها عن سعة لتزهو وتثمر ثمراً جيداً فلا اقلّ من ان نصنع ما في

وسعنا صنعه لئلا يقال فينا

ولم ارَ في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

واقترحنا الذي نقترح العمل به على جميع الطوائف السورية وفي جملتها الكرسي الانطاكي الارثوذكسي هو

يوجد دائماً في المدارس الابتدائية وغير الابتدائية تلامذة ممتازون عن رفاقهم بانخفاض الجناح وحسن السلوك وشدة النباهة والرغبة في العلم . وعلى الغالب يكون هولاء التلامذة من الوسط او فقراء لا يملكون خبز يومهم . فاذا زرت مدرستهم شهدت معلمهم ينظر اليهم من حين الى حين باسماً منشرح الصدر واذا سألته عن سبب ابتسامه ذكر لك شدة نباهتهم وحسن سيرتهم وسريرتهم ثم يقول متأملاً متوجعاً : ولكنهم مساكين فقراء لا يستطيعون اكمال دروسهم ولو اكملوها لاصبحوا في المستقبل رجالاً يُفتخر بهم

لكن اذا انقضت عدة سنين وسألت عن هولاء التلامذة النجباء الذين كانوا يتلهبون ذكاءً ورغبة في العلم وجدت اكثرهم ان لم يكن كلهم في الاسواق يحترفون حرف آبائهم وقد ذهب ما كان في وجوههم من لوائح النجابة والنباهة واصبحوا قلما يمتازون عن رفاقهم الاردياء بشيء

فما سر هذا الانقلاب ؟ السر واضح جلي وهو ان اولئك التلامذة النجباء الذين خُلقوا ليكونوا رجالاً وربما رجالاً عظاماً قد قتل الفقر مواهبهم وخنقت قلة وسائل التربية استعدادهم فخسرهم وطنهم واهلهم

فنقترح الآن ما يمنع هذه المواهب ان تُقتل وهذا الاستعداد ان يختنق وهو ان تُنشأ مدرسة كبرى مجانية على نفقة صاحب الشان تكون صحيحة التربية والتعليم وفيها المعلمون الاكفاء لوظائفهم . ثم يعلن صاحب هذه المدرسة اساقفة جميع الابرشيات انه يطلب منهم ان يرسلوا اليه من مدارس ابرشياتهم كل تلميذ يمتاز عن رفاقه بالرغبة والعلم وحسن السيرة سواء كان غنياً او فقيراً . فيجتمع لديه من جميع الابرشيات نحو ثلاثين ولداً او اربعين على الكثير . فاذا ربتهم هذه المدرسة المجانية قدمت للبلاد ٤٠ رجلاً كبيراً نافعاً مفيداً لولاها لما كانوا شيئاً مذكوراً

هذه طريقة في استطاعة جميع الطوائف السورية اتباعها اذا ارادت وعلى الخصوص كلية البلمند اذا حل هذا الاقتراح محل القبول لدى غبطة البطريرك . فقد علمنا ان تلامذة هذه الكلية سيكونون في هذه السنة ١٥ تلميذاً فقط . والذي نعلمه ان دير البلمند ذو

ايراد سنوي يكفي لنفقة مدرسة كبرى عدد تلامذتها ٣٠ و ٤٠ و ٥٠ تلميذًا . فما الذي يمنع ان يتوسع غبطة البطريرك في غرض الكلية التي اقدم على انشائها فيجعلها مدرسة « للتلامذة الفقراء النابغين » وكلية اكليريكية

ولا يخفى ان هولاء « التلامذة الفقراء النابغين » الذين يُجمعون من جميع مدارس الكرسي لتعليمهم على نفقته يكونون دمًا قويًا صحيحًا يمكن صرفه بعضه او كله الى عروق الطبقة الاكليريكية بدلاً من قبول اي دم كان لافراغه في هذه العروق فلا يكون ذلك اذًا خارجًا عن غرض هذه الكلية . وفضلاً عن ذلك فان تربية ٤٠ تلميذًا من نوابغ التلامذة الفقراء تربية صحيحة قد تكون في رأينا انفع للبلاد من فتح ٤٠ مدرسة

وغرضنا من هذا الاقتراح كما ذكرنا احياء المواهب التي تظهر تحت سماء الشرق بدلاً من تركها تموت في الجهالة او في الضيق للفقر وقلة وسائل التعليم والتربية . فرجاؤنا من اغنياء الشرق ورؤساء اديانه ان ينظروا في هذا الامر بما هو اهل له من الامعان . وبودنا ان لا نكون كمن ينفخ في رماد والسلام

باب تدبير الصحة

والمنزل

(تاثير كأس كونياك وتاثير كاسين) — اختلف العلماء في هل ان المشروبات تساعد المعدة على هضم الطعام ام تلبك المعدة . ورغبة في حل هذا المشكل تناول الدكتور نوفو سالومون الالماني طعامًا وشرب معه قدحًا من الكونياك ثم استخرج الطعام من معدته بواسطة صناعية عند ابتداء الهضم . وفي المساء تناول طعامًا وشرب معه عدة كؤوس صغيرة من الكونياك واستخرج هذا الطعام ايضًا فوجد ان الكاس الواحدة قد سهلت الهضم والكؤوس الكثيرة قد ابكت المعدة ومنعتها من الهضم . ولكننا بالرغم عن شهادة هذا الطبيب نحرم الكاس والكاسين معًا لان الواحدة تجر الاثنتين وهلم جرًا . الا اننا نثني على شجاعته في خدمة العلم وذلك لاستخراجه الطعام من معدته بالوسائط الصناعية التي لا تخلو من الخطر على حياته

(تنظيف مصابيح البترول) — تنظف ربات المنازل مصابيح البترول (الكاز)

بغسلها بالماء والصابون وهو عمل صعب · واحسن منه ان تاخذ من رماد الحطب وتفرك المصابيح به بورق لين فيشرب الرماد البترول ويزيل رائحته فتاخذ قطعة قماش ناعمة وتفرك المصباح بها

(الكحول في لبن الامهات السكيرات) ثبت لعالم الماني من تجارب كثيرة ان النساء اللواتي يتعاطين المسكرات يوجد في لبنهن شيء من الكحول (السبيرتو) فربما اعتاد اولادهن منذ الرضاع على هذه الافة المهلكة فاصبحوا يستطيبونها في كبرهم · قال هذا العالم وربما كان ذلك السبب الحقيقي في ما يقوله العلماء من انتقال السكر بالوراثة من الاباء والامهات الى الاولاد

(منع البصق في الشوارع) اقترح المسيو فورتين من اعضاء المجلس البلدي في باريز ان يُمنع الباريزيون من البصق في الشوارع لانه قد ثبت ان بصاق المرضى من اكبر وسائل نقل الامراض ولاسيما مرض الصدر · ولذلك سيوضع في جميع شوارع باريز الواح كبيرة خط عليها رجاء الى المارين ان لا يبصقوا وقاية للصحة العمومية

(تقشير السمك الطريء) — اذا كان السمك طريئًا لقيت ربة البيت صعوبة كبيرة في تقشيره وتنظيفه من القشر تماماً لان قشوره لا تخرج بسهولة · ولكن اذا غمست السمك برهة وجيزة في ماءٍ غالٍ على النار اصبح تقشيره سهلاً جداً

(وجع الاسنان) — كثيرون يشكون آلاماً في اسنانهم لتجوفها وتعطلها فرغبة في ازالة هذا الالم وايقاف علة الاسنان وصف الدكتور فورتيه ان يضع الانسان على مائدته زجاجة صغيرة فيها قليل من ذائب المغنيسيا" المانازيا" وفي كل مساء قبل النوم يمسح اسنانه جيداً بفرشة مغموسة بهذه الزجاجة ويبقي في فمه شيئًا من دوائها حتى يجمد على الاسنان منه قشرة تقيها من الهياج في الليل عند اختمار الطعام وحدوث الحوامض في الفم لان هذه الحوامض هي سبب الالم · ويصف اطباء الاسنان بيكاربونات الصوده لتسكين الم الاضراس وهو دواء يشبه المانازيا المذكورة في مقاومة الحوامض مسببة الالم · وتبقى المانازيا على الاسنان مدة ٤ ساعات يكون الانسان في اثنائها مستريحًا من المه

(آلة صناعية تصنع خبزًا) تناقلت الجرائد الفرنسوية في هذا الشهر خبر آلة المسيو شويتزر التي تصنع خبزًا · وهي آلة مركبة من آلات عديدة لتنقية القمح وغسله وتنشيفه وطحنه ونخله وعجنه وخبزه · فاذا وضعوا القمح من احد جوانبها فلا يلبث ان يخرج بعد مدة وجيزة من جانبها الاخير خبزًا نقياً حارًا · فتامل

باب الاخبار العلمية

﴿ اطلاق المدافع على الغيم يمنع نزول البرَد ﴾ اكتشف عالم ايطالي اكتشافاً جديداً لوقاية المزروعات من البرَد وجربه فنجح فيه · ذلك انه لاحظ الغيوم التي تكون سبب نزول البرد فوجد لها منظرًا خصوصياً يختلف عن منظر سائر الغيوم بشدة كثافتها واسودادها · فوضع مدفعاً خصوصياً في حقل يكثر فيه نزول البرَد ولما رأى الغيوم التي ينزل منها اخذ باطلاق المدافع عليها فكانت طلقة المدفع تدفع عمودًا من الهواء شديدًا الى تلك الغيوم فلا تلبث ان تفرقها وتخلص الزرع من شرها · ثم اعيدت هذه التجربة في حقول عديدة وضعت فيها مدافع لاطلاق البارود فلا تتكاثف فوقها الغيوم حتى ياخذوا باطلاق المدافع عليها فيشتتوها كما يشتت الجيش القوي جيشاً ضعيفاً في ساحة القتال · ولا ريب ان هذا المبدأ سيرتقي عما هو عليه اليوم ويفيد الزراعة فائدة عظيمة · فليفتكر بذلك زراع الشرق الذين يصيبهم البرد احياناً بخسائر جسيمة خصوصاً زراع القطن في مصر وزراع الليمون في يافا وطرابلس الشام

﴿ حمص مصري من ٣٠٠٠ سنة ﴾ زار مصر المستر ستوارت من كلاسكو وهو زراع انكليزي فحصل فيها على حفنة من حمص مصري قديم وجد في ناووس احد الفراعنة الذين ماتوا منذ ٣٠٠٠ سنة فاخذ هذا الحمص الى بلاده وزرعه في ارض جيدة فنبت ونما حتى بلغ علوه ٦ اقدام انكليزية مما ادهش جميع من شاهده · ولكن زهرته حمراء لا بيضاء وطول غلاف حبته ٧ او ٨ سنتيمترات وعرضها سنتيمتران · اما الحبة نفسها فهي اكبر قليلاً من الحمص الاعتيادي واميل منها الى الحلاوة · وقد كان لهذا الامر تأثير ودهشة لدى علماء الانكليز لانه من الغرابة ان تبقى جرثومة الحياة حية في حب الحمص مدة ٣٠ قرناً

﴿ سبعمائة كتاب شرقي ثمنها ٤٠٠٠ جنيه ﴾ توفي المسيو شامار مدير مدرسة اللغات الحية في باريز فخلف مجموعة كتب شرقية ثمينة لا مثيل لها في اوربا · فقد ساح هذا العالم في مصر وسوريا والولايات العثمانية وفارس والهند فجمع في سياحته ١١٦٠ سفرًا جمعها في ٧٠٠ كتاب منها ٤٠٦ كتب عربية و٤٠٤ فارسية و٣٥٠ تركية · وقد قررت الحكومة

الفرنسوية ان تبتاع هذه الكتب بمبلغ مائة الف فرنك ولا تتركها في سوق المزاد مخافة ان يبتاعها الاجانب كما جرى بمجموعة كاترمار الشرقية التي ابتاعتها مكتبة مونيخ · وستضعها الحكومة بعد ابتياعها في مكتبة باريز الوطنية ليستخرج العلماء المستشرقون ما فيها من المعارف الشرقية الجليلة

﴿ حرب الترنسفال وعلم الفلك ﴾ قال العالم الفلكي فونفيل في احدى المجلات الاوربية ان الناس في القرن السادس عشر والسابع عشر ما كانوا انتظروا انذار البوير الانكليز بالحرب حتى يعلموا بشبوب نارها بل كانوا تنبئوا بوقوعها قبل وقوعها · ذلك ان السيارة المريخ وهي اله الحرب قد ابتدأت منذ ١١ اكتوبر تقترب من المشتري وهو اله العقل والحكمة · وفي ١١ اكتوبر كان الانذار بالحرب وهذا اتفاق غريب

﴿ بقع الشمس والثورات البركانية ﴾ نشر عالم اميركي في اواخر شهر مايو الماضي انه يتنبأ بقرب ثورة بركان هواي بين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠١ مستنداً في هذه النبوءة الى بقع بدت في الشمس ومن الغريب ان هذا البركان ثار في ٤ يوليو الماضي فتحقق بذلك قول العالم الاميركي من وجود علاقة بين بقع الشمس وثورة البراكين

﴿ كيف يكون الزواج في الترانسفال ﴾ متى اراد الشاب الزواج في الترانسفال يضع قائمة باسماء البنات اللواتي يرضى بالتزوج باحداهن ثم يهيء شيئاً من الخوخ والشمع ويركب فرسه ويبدأ بزيارة اهل البنات · فاذا وصل الى البيت الاول نزل عن جواده وتقدم الى الام فناولها الخوخ والشمع · اما الخوخ فتقبله الام دائماً واما الشمع فتفهم معناه فاذا كانت لا ترضاه صهراً لها ترد عليه شمعته فيركب جواده ويذهب في طلب ابنة اخرى · واما اذا كانت ترضاه صهراً فتاخذ الشمعة وتوقدها في الحال فيدخل الشاب الى البيت ويجلس مع الابنة ليحادثها ويعرف اخلاقها · فتغرز الام حينئذٍ دبوساً في اعلى الشمعة على بعد سنتيمتر من لهيبها وتخرج تاركة الاثنين يتحادثان · ومتى رأت هذا السنتيمتر قد ذاب تعود ولا تسمح له بان يجالس ابنتها على انفراد اكثر من ذلك · ولكن من ادراها ان الخطيبين لا يؤخران الدبوس سنتيمتراً كلما ذاب سنتمتر

﴿ قطع مسافة ميل باقل من دقيقة ﴾ قطع المستر مورفي الاميركي وهو راكب دراجته مسافة ميل واحد (١٦٠٩ امتار) بنحو ٥٧ ثانية واربعة اخماس الثانية وهي سرعة غريبة اهتم بها العلماء لعلاقتها بمسالة مقاومة الهواء فضلاً عن تقريب البعد

باب التقريظ والانتقاد

(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) — وردنا كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لمؤلفه العلامة شمس الدين ابي عبدالله محمد بن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٥١ هجرية وهو آخر كتاب نشرته شركة طبع الكتب العربية بعد الكتب المفيدة التي تقدم لنا تقريظها في الاجزاء الماضية . وموضوع هذا الكتاب معروف من عنوانه وهو السياسة الشرعية واصول القضاء الشرعي وثمنه ١٣ غرشاً مصرياً عدا اجرة البريد ويطلب من ادارة المؤيد في القاهرة او من وكلائها في الجهات

وليس لنا غنى في هذا المقام عن تكرار الثناء على هذه الشركة النافعة التي توالي عملها المفيد من نشر كتب علماء العرب الاعلام التي لولاها لبقيت مدفونة في زوايا المكاتب الكبيرة او كثيرة الثمن لاتصل اليها ايدي جميع الذين يحبون المطالعة والاستفادة فنحن نهنئها بنجاحها ونرجو لها الثبات على هذه الخطة الجليلة

(تذكار الصبا) — ما نقلنا في الجزء الاول من هذه المجلة شيئاً من شعر فقيد الادب العربي الكاتب المجيد والشاعر الشهير الشيخ نجيب الحداد بعد وفاته بزمن قصير حتى تناقلته بعض الصحف العربية في مصر واميركا والشام كأن شعره الدر يلتقطه الادباء كلما عثروا عليه . وقد ذكرنا هذا الامر للدلالة على مبلغ ما يكون قد بدا من ارتياح الادباء الى ديوان " تذكار الصبا " الذي صدر في منتصف الشهر الماضي وفيه كثير من شعر الفقيد رحمه الله . اصدرته حضرة الفاضلة السيدة الكسندرا افيرينوه منشئة مجلة انيس الجليس الغراء وصدرته برسم الفقيد وقد ذيلته بيتين نظمها رحمه الله في زمن اعتلاله وهما

قد كان لي جسم رسمت خياله حرصاً عليه قبل يوم زواله
واليوم اوشك ان يزول من الضنى فانا لكم اهدي خيال خياله

وكان الفقيد قد شرع في طبع هذا الديوان في حياته وجعله هدية لحضرة رصيفتنا الفاضلة ناشرة هذا الديوان وفي ذلك يقول من قصيدة في صدر الكتاب

قد ضلّ قوم باهداء القريض الى ارباب مال وليس المال من شاني
وانتِ غادة خدر قد جمعت لنا حسن الفتاة الى همات فتيان

اهديك شعري فاهدي في مجانسة غصن البيان الى غصن من البان

وشعر هذا الديوان غني بمحاسنه وشهرة قائله عن كل ثناء وتقريظ . فنثني على حضرة ناشرته الفاضلة ونكرر طلب الرحمة للفقيد والاسف على انقصاف غصن شبابه قبل ادراكه تمام البلوغ

والديوان مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة جريدة البصير الغراء و يطلب من ادارة مجلة انيس الجليس وثمن النسخة فرنكان ونصف

(النبراس) — جريدة اسبوعية اصلاحية تهذيبية عمرانية لمنشئها حضرة الكاتب المجيد نجيب افندي الجاويش . صدر العدد السادس عشر منها بعد انقطاعها مدة لاسباب خصوصية فظهرت نبراساً في عالم الادب كما كانت من قبل . وفي هذا العدد مقالات مفيدة مصدرة بمقالة عنوانها " كن كيف شئت ولا تكن صحافياً في الشرق " فنرجو للنبراس دوام الاشراق ونتمنى له الثبات والانتشار

وهو يصدر في القاهرة وقيمة بدل اشتراكه ٦٠ غرشاً مصرياً في داخل القطر و١٥ فرنكاً في الخارج

(سلاسل القراءة) — اهدت الينا المطبعة الادبية في بيروت لمديرها حضرة المفضال عزتلو خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال الاغر كتاب السلسلة الرابعة من سلاسل القراءة التي تصدر في ادارتها فتصفحناه تصفح من يروقهم الوقوف على كتب مدرسية كهذا الكتاب في النفع والسهولة . وقد الف هذا الكتاب على اسلوب مستحدث وغرض حضرة المؤلف « اولاً تمرين اللسان والشفاه وثانياً تهذيب العقل بحيث يتسنى للتلميذ الحدث ان يعي شيئاً مما يقرأه ويُعنى به » ونزيد على ذلك و يستفيد به . لان هذا الكتاب مع ضبط شكله وسهولة مأخذه حاوٍ فصولاً مفيدة في شرح الامور الطبيعية مثل المطر والهواء وسقوط الثلج والزوابع وفصولاً في ذكر الابحار والانهار والشهب والممالك والمقاييس والموازين وفي ختامها فصول في تدبير الصحة . فاذا اتى عليه التلميذ اصبح عالماً بكثير من الحقائق الطبيعية التي قد يجهلها كبار التلامذة وفي ذلك من الفائدة ما لا يخفى . فنحث مديري المدارس والمعلمين على تدريس هذا الكتاب فانه ربما فضل كثيراً من الكتب التى بين ايديهم . وهو يطلب من المطبعة الادبية في بيروت

لدينا تقاريظ كثيرة ضاق عنها هذا الجزء فموعدنا بها الجزء القادم

تاريخ الاسبوعين

(داخلية)

✻ المولد السلطاني والجلوس الخديوي ✻ احتفلت الامة العثمانية في ١٩ الماضي بتذكار مولد جلالة مولانا السلطان الاعظم اطال الله عمر جلالته ووفقه الى خير البلاد والعباد

وتحتفل الامة المصرية في ٨ الجاري بتذكار الجلوس الخديوي اعاده الله على سمو الامير المعظم بالعز والهناء

✻ حاكم السودان ✻ صدر الامر العالي بتعيين الجنرال ونجت باشا سرداراً للجيش المصري وحاكماً عاماً للسودان مكان سعادة اللورد كتشنر باشا الذي سافر الى الترانسفال كما ترى ذلك في اخبار الحرب

✻ زوال الطاعون ✻ رفعت الدولة العثمانية في ٢٧ الماضي الحجر الصحي عن واردات القطر المصري لزوال الطاعون من الاسكندرية وسلامة القطر كله . وبهذه المناسبة نروي نكتة عن الطاعون لاحد مشتركي الجامعة في احدى ولايات سوريا وهو دكتور . فانه اول ظهور الطاعون في الاسكندرية وذلك منذ بضعة شهور قطع اشتراكه في الجامعة مخافة ان تنتقل اليه جراثيم الطاعون بواسطتها ... فاذا كان الاطباء يخافون هذا الخوف فلا لوم اذاً على البسطاء

✻ تذكار كريم ✻ احتفلت الطائفة السورية الارثوذكسية وجمعيتها في صباح الاحد ٣١ الماضي بقداس وجناز عن نفس المأسوف عليه المحسن الشهير المرحوم سمعان كرم في الكنيسة السورية الارثوذكسية في الثغر . وهو التذكار السنوي الذي رتبته الجمعية اعترافاً بما كان للفقيد رحمه الله من الايادي البيضاء على الكنيسة والطائفة فنكرر هنا طلب الرحمة لنفسه الكريمة ونردد فيه قول كريم العرب

اماويَّ ان المال غادٍ ورائح ... ويبقى من الاحاديث والذكرُ
اماويَّ ان يصبح صداي بقفرة ... من الارض لاماءٌ لديَّ ولاخمرُ
ترى ان ما انفقت لم يك ضرَّني ... وان يدي مما بخلت به صفرُ

(خارجية)

حرب الترنسفال — زحفت في هذا الشهر ثلاثة جيوش انكليزية على البوير للافراج عن لاديسميث وكمبرلي ومفكنج ورد البوير عنها الواحد بقيادة الجنرال جاتاكر والثاني بقيادة الجنرال مثوين والثالث بقيادة الجنرال السر ردفرس بولر القائد الانكليزي العام . فردها البوير على اعقابها بحمية غريبة ادهشت العالم لقلة عدد هذا الشعب وعدم تمدنه تمدناً تاماً . فدوى خبر انكسار الجنرال بولر القائد العام في اوربا كلها وعرفت الحكومة الانكليزية انها في حرب كبيرة لا صغيرة فولت القيادة العامة في الحرب للمرشال روبرتس قندهار وجعلت اللورد كتشنر باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام سابقاً رئيساً لاركان حربه واخذت تستعد لارسال نجدات جديدة الى ساحات القتال حتى يبلغ عدد جنودها في افريقيا فوق المائة الف جندي . واللورد روبرتس واللورد كتشنر يمخران الآن عباب البحر قاصدين ساحة القتال

اما اللورد كتشنر فمعروف لدى القراء . واما اللورد روبرتس فهو من اصل ايرلندي وهو القائد العام لجيوش ايرلنده ولد سنة ١٨٣٢ فهو الآن شيخ يكلله الشيب وله حروب في الهند اعلت شانه العسكري . اهمها حربه في افغانستان سنة ١٨٨٠ يوم عين لقيادة الجنود الانكليزية في افغانستان في احوال كالاحوال التي عين فيها اليوم . فان الامير أيوب خان الذي كان مطالباً بالامارة هزم في تلك السنة الجنرال بيروس الانكليزي فلجأ هذا الجنرال الى قندهار في جنوبي افغانستان وتحصن فيها فحصره الامير ايوب خان وكاد يفتك به وبجنوده لو لم يسر الجنرال روبرتس الى نجدته بتسعة الاف جندي فيرد الامير ايوب خان عن قندهار وينتصر عليه انتصاراً عظيماً رن صداه في اوربا كلها . فكافأته الملكة عقيب هذه الحرب بمنحه رتبة مارشال ولقب لورد . واليوم يؤمل الانكليز ان يفعل اللورد روبرتس في لاديسميث ما فعله في قندهار

ومما هو جدير بالذكر ان اللورد روبرتس عين في سنة ١٨٨١ والحرب مضطرمة بين انكلترا والترانسفال قائداً عاماً في جنوبي افريقيا ولكنه ما وصل الى ساحة القتال حتى عُقد الصلح بين المتحاربين . فيتفاءل الآن محبو السلم خيراً بتعيينه لعل الصلح يُعقد هذه المرة ايضاً حين وصوله الى افريقيا وتُحقن الدماء

ومهما يكن من الامر فان انكلترا قد خسرت بانخذالها الوقتي في هذه الحرب بعض ما

كان لها من المهابة في قلوب الاقوياء والضعفاء واختتم البوير القرن التاسع عشر بتمثيلهم امام اعيننا بسالة الرومانيين القدماء

❊ تكرار الشكر — صدور الجامعة في آخر الشهر ❊

نكرر الشكر لحضرات الاصدقاء والمعارف والقراء الذين لا يزالون يلطفون حزننا بتعازيهم ورسائلهم اللطيفة ونسأل الله ان لا يريهم مكروهاً ثم نعتذر الى حضراتهم لعجزنا عن المجاوبة عن جميع الرسائل التي وردتنا لكثرتها ونرجو من فضلهم ان يعتبر كل منهم هذه الاسطر بمثابة رد خصوصي له والكريم من عذر . وقد ذكرنا سهواً في الجزء الماضي ان وفاه فقيدنا كانت في ٣٠ ستمبر والصواب ٣٠ نوفمبر ولما كان هذا المصاب قد اثر في صحة منشئ الجامعة فضلاً عن اشتغال باله وزيادة اشغاله فقد اضطررنا الى اعلان حضرات المشتركين الكرام اننا سنصدر الجزء ٢١ و٢٢ معاً في آخر الشهر الجاري والجزء ٢٣ و٢٤ معاً ايضاً في آخر الشهر الذي يليه حتى لا يفوت حضرات المشتركين شيء من حقوقهم وتخمد ثورة الافكار التي اثارها وقع المصاب . وبعد الجزء ٢٤ تبتدئ سنة الجامعة الثانية فتبرز حينئذٍ بالحلة الجديدة التي اعلنا عنها في الماضي مرتين في الشهر حسب العادة . فرجاؤنا من حضرات القراء المعذرة لهذا التغيير الوقتي الذي اوجبته ظروفنا الحاضرة التي عرفوها والعذر من شيم الكرام والسلام

❊ داود ابرهيم عبده ❊ نعي الينا من القدس الشريف الطيب الخصال المرحوم داود ابرهيم عبده والد حضرات الخواجات سابا عبده واخوانه . توفاه الله عن ٧٠ عاماً قضاها بالنشاط والصلاح فنقدم الى جميع آله وانسبائه كلمات التعزية ونسأل الله للفقيد الرحمة والرضوان

❊ تعزية ❊ نعزي حضرة رصيفنا الفاضل مصطفى افندي واصف مدير جريدة الشام الغراء بفقد اخيه الماسوف عليه المرحوم عمر افندي واصف ونسال الله ان يتغمد الفقيد بالرحمة والرضوان

❊ هزل وجد ❊

نشرت رصيفتنا جريدة المناظر التي تطبع في البرازيل في عددها الاربعين مقالة عنوانها « لو كنتُ لكنتُ » قال كاتبها انه لو كان متصرفاً لجبل لبنان « لكان يقرب اليه

الافاضل ليسمو قدر الفضيلة » ولو كان عضواً في مجلس ادارة لبنان لكان يصنع « كل ما يعود بالخير على الوطن » ولو كان بطريركاً لاتفق مع باقي بطاركة المسيحيين « على تخصيص جزء من دخل الاوقاف لاجل انفاقه في سبيل التعليم » ولو كان صاحب جريدة في لبنان لقال الحق وما رهب غضب الموظفين . ولو كان ولو كان . الى ان قال :

« ولو كنت موسراً مثل الكثيرين لكنت اشترك بخمسين نسخة من مجلة " الجامعة العثمانية " واطلب ان تُرسل الى خمسين شيخاً من شيوخ القرى الكبيرة في لبنان واطلب الى الشيوخ ان يبيحوها الى كل من يريد مطالعتها » انتهى

نقول . ولكننا نقول باسف للفاضل صاحب هذا التمني انه " لو كان موسراً " كما تمنى لشغله ايساره عن العلم والادب وكل ما يعزى اليهما فليكن راضياً بحاله فانها خير له واقرب الى الادب وذويه

هذا اولاً . اما ثانياً فباسف نقول له ايضاً ان الجامعة لا تستطيع الآن قبول اشتراكه في خمسين نسخة منها لان ما يُطبع منها الآن لا يكاد يكفي مشتركيها فنضطر والحالة هذه الى زيادة المطبوع الآن وهو امر صعب لقرب نهاية السنة الاولى اوننضطر الى تاجيل اشتراكه الى السنة القادمة . . .

قلنا هذا على سبيل المزل ولكن نقول فيما يلي قولاً جدياً وهو :

بما ان عدد المشتركين في هذه المجلة قد تزايد في الاشهر الاخيرة عن عدد الاجزاء التي تطبع من الجامعة حتى انه لم يبقَ في الادارة من الاجزاء الصادرة الى الآن ما يجب علينا حفظه من السنة الاولى فقد اضطررنا على اسف منا ان لا نعتبر كثيراً من طلبات الاشتراك الجديدة التي تردنا الا من تاريخ وصولها الينا لان اجزاء السنة الاولى قد نفدت من الادارة . هذا عذرنا وسنصلح هذا الخطأ في السنة الثانية فنضاعف عدد المطبوع من الجامعة ان شاء الله واذا اقتضت الحال اعدنا طبع السنة الاولى ارضاء لطلابها

ولما كانت اجزاء الجامعة قليلة عندنا الآن الى هذا الحد وجب علينا ان ننبه فريقاً من حضرات القراء الى ذلك ليعلموا حاجتنا اليها فلا يتأخروا عن وفاء حقوق المجلة والا تصرفنا مع الاسف باجزائهم وطالبناهم بشدة بما عليهم من الحقوق . وهذا القول مسوق لفريق قليل نخاطبه هنا تلميحاً وعلى ظهر المجلة تصريحاً . فنوجه انظار هذا الفريق الى اعلان على ظهر المجلة

الفصل الرابع عشر

(السلطات الثلاث)

كان بيلو يسير نحو الباستيل في مقدمة جمهور الشعب وهو يفكر بالامر العظيم الذي اقدم عليه . فادرك بعد التفكير صعوبة العمل ورأى حقناً لدماء الشعب ان يذهب الى المجلس البلدي قبل مهاجمة الباستيل

فتبعه الشعب لانه اصبح عظيم الثقة به فوصل بيلو الى الاوتيل دي فيل ووراءه نحو ٣ او ٤ الاف رجل

فدخل بيلو الى قصر المجلس وسأل عن اسم الرئيس . فقيل له انه المسيو دي فلاسيل (١) فقال في نفسه : اذن هو من اعداء الشعب لانه على ما يظهر من الاشراف . ثم قال لمن حوله : احب مقابلته . فاجابوه ان الرئيس مشغول الآن مع الاعضاء بوضع مشروع جديد لتنظيم جندرمة جديدة . فقال لهم بيلو . لقد كان قدومي اذاً في حينه فان معي هنا الوفاً للتجنيد ولا ينقصها غير الاسلحة

وكانت هذه الالوف التي تتبع بيلو تجعله مرهوب الجانب لدى كل من رآها فدخل بعض رجال المجلس وابلغوا الامر الى المسيو دي فلاسيل فامر بادخال بيلو اليه

ولما اصبح بيلو بازاء دي فلاسيل تفرس فيه هذا فبادره بيلو بالسؤال قائلاً : أأنت المسيو دي فلاسيل رئيس المجلس

فقال فلاسيل انا هو ولكن اسرع في تبيان غرضك فان وقتي قصير

فقال بيلو احب ان اسألك كم سلطة في فرنسا اليوم يا مسيو دي فلاسيل . فاجاب الرئيس هذا سؤال قد يصعب الجواب عليه . انك اذا سألت المسيو دي بالي اجابك انه ما من سلطة غير سلطة المجمع لوطني . واذا سألت المسيو دروز بريزه اجابك ما من سلطة غير سلطة الملك

فقال بيلو وانت ما رأيك في صاحب السلطة اليوم . فقال دي فلاسيل اما انا فارى

(١) دي فلاسيل — هو جاك دي فلاسيل آخر روساء تجار باريز ويقابله رئيس المجلس البلدي في هذه الايام . ولد سنة ١٢١١ ومات سنة ١٧٨٩ بطريقة سيرد تفصيلها في الفصول الاتية

ان السلطة للامة · وبما انك قد سألتني واجبتك فقد جاءت نوبتي في السؤال ونوبتك في الجواب · فقال لي من تقصد من اصحاب هذه السلطات الثلاث

فقال بيلو اقصد الملك · قال وماذا تطلب منه · قال اريد ان يصدر امراً باطلاق سبيل الدكتور جيلبار

فقال الرئيس العله ذلك الكاتب الذي سجن من اجل الكراس · قال نعم وهو فيلسوف شهيد الحرية · قال لا تطمع في ان يستقبلك الملك فانه مشغول عنك · قال اقصد المجمع الوطني ذاً واطلب منه الافراج عن الدكتور · قال ولكن طريق فرساليا مسدودة والجنود تحرسها · قال اذهب بهذه الالوف التي معي · قال فالجنود تفرقها بالقوة · فقال بيلو اذاً اترك الملك والمجمع واقصد الامة فافتح بها باب الباستيل واستولي عليه

فرفع دي فلاسيل راسه وقال تستولي على الباستيل وباي شيء يتم لك ذلك · فقال بما في اقبيتك من براميل البارود مر بتسليمها الينا · فقال دي فلاسيل اظنك تمزح في كلامك

فدنا عند ذلك بيلو من الرئيس وقبض عليه بكلتا يديه من طوقه وقال · كلا لا امزح اعطني مفاتيح الاقبية والا استدعيت رجالي بالحال

فامتقع وجه الرئيس وظهرت فيه لوائح الغيظ ولكنه كظم ما في نفسه وقال له : تصنع حسناً باراحتي من هذا البارود فانني في خوف دائم من ان ينفجر فيوءدي بالمجلس · انزل وتصرف به كما تشاء

فتركه بيلو ثم قال تشجعني على طلب آخر · قال ماذا تريد · قال اتعرف حاكم الباستيل · قال اسمه المسيو دي لوناي وهو صديقي · فقال بيلو اذا كان صديقك فلا بد انك تكره ان تصيبه مصيبة · فقال دي فلاسيل نعم اكره ذلك · فقال بيلو · فاكتب اليه اذاً ان يسلمني اما الدكتور جيلبار واما الباستيل

فقال دي فلاسيل بهدوء انك تعلم انني اذا طلبت ذلك منه فهو لا يجيبني · قال دع هذا اذاً واكتب لي اذناً بالدخول الى الباستيل

فقال دي فلاسيل اكتب لك هذا الاذن ولكن اعلم انك تدخل وحدك · قال اعلم · قال واعلم ايضاً انك اذا دخلت الى الباستيل فربما لا تخرج منه ابداً · قال اعلم ذلك ولكن ورأي الوفا تخرجني اكتب الامر ياسيدي · فاخذ المسيو دي فلاسيل قلماً وكتب بعد الحاح بيلو ما ياتي :

« حضرة حاكم الباستيل

« نحن رئيس المجلس البلدي في باريز نرسل اليك المسيو بيلو ليخابرك بامور تتعلق بالمدينة

١٤ يوليو ١٧٨٩ « دي فلاسيل »

ثم ناول هذه الورقة الى بيلو فقال ارجوك ان تقرأها لاني اجهل القراءة . فقرأها دي فلاسيل عليه وما اتى على آخرها حتى صاح صائح من ورائه قائلاً : بقي عليك ذيل يا دي فلاسيل . فالتفت دي فلاسيل وقال من هذا . فقال القادم انا ما رات

فصاح بيلو مارات الفيلسوف والطبيب . قال مارات نعم انا كما تقول . خذ القلم يا دي فلاسيل وضع الذيل الذي امليه عليك

فنظر اليه دي فلاسيل بعينين متقدتين غيظاً وساله ما هذا الذيل . قال هو هذا « ان اخانا بيلو رسول وما على الرسول الا البلاغ فحياته مطلوبة من ذمتك وشرفك »

فذيل دي فلاسيل كتابه بهذين السطرين والقاه الى بيلو . ثم طلب منه ان لا يبدأ باخراج البارود من الاقبية قبل سفره خوفاً من الانفجار . وبعد ذلك نزل سلم القصر وركب مركبته وقبل مسير المركبة صاح بالسائق — الى المجمع الوطني . وقد قصد بذلك ايهام الشعب المجتمع حول المجلس انه يقصد المجمع الوطني فصفقوا جميعاً تصفيق الارتياح والاستحسان اما مارات فنظر اليه قبل ان يغيب عن البصر وقال لبيلو : اقسم براسي ان هذا الرجل يسير لا لمقابلة المجمع الوطني بل الملك

فقال بيلو اتريد ان امر بالقاء القبض عليه . قال دعه الآن فانه لا يفوتنا في مستقبل فقال بيلو فلنهتم الآن اذاً بتوزيع البارود على الرجال

الفصل الخامس عشر

(امام الباستيل)

ثم نزل الاثنان الى اقبية القصر فتبعها الشعب يطلب البارود وكان بيلو قد نظمه تنظيم الجنود اي جعل لكل فريق منهم روساء يقودونهم فمنع الروساء تزاحم الشعب على الاقبية . وكان البارود موضوعاً في براميل صغيرة سعة كل واحد منها ٢٠ ليبرة فاصطف جماعة من الرجال من داخل الاقبية الى خارجها يناول بعضهم بعضاً تلك البراميل ويخرجونها لتوزيعها على المنتظرين

وكان اعضاء المجلس البلدي مجتمعين في ذلك الوقت يبحثون في تنظيم جندرمة

جديدة يسمونها الحرس الوطني (غارد ناسيونال) وقد اختلفوا في من يجعلونه قائداً لهذا الجند الجديد واذا بالمسيو دي فلاسيل عائد في مركبته مسرعاً . وكان السبب في رجوعه ان الجنود التي كانت تحرس طريق فرسايل حيث يقيم الملك منعته من المرور واكرهته على الرجوع

وكان الشعب قد اخذ ما اخذ من البارود ولكن البارود بلا سلاح لا يغني شيئاً . فلما ابصروا المسيو دي فلاسيل راجعاً صاحوا به من كل جانب . نطلب سلاحاً نطلب سلاحاً

فقال المسيو دي فلاسيل السلاح موجود في الترسانة فصاح الجمع هلموا الى الترسانة فذهبوا ولكنهم لم يجدوا شيئاً فعادوا يرغون ويزبدون

فقال لهم دي فلاسيل ربما وجدتم سلاحاً في دير الشارتره . فقصدوا الشارتره وفتشوه فلم يجدوا فيه آلة جارحة . وفي اثناء هذا الوقت كان بيلو ومارات لا يزالان في الاقبية يخرجان البارود فاجتمع دي فلاسيل باعضاء المجلس واقترح ان يرسلوا الى حاكم الباستيل وفداً يسالونه ان يرفع المدافع عن اسوار الباستيل اطفاء لثائرة الشعب وارضاء له

ذلك ان الشعب كان شديد السخط على تلك المدافع التي كانت تبرز فوهاتها من فوق جدران الباستيل الشاهقة كانها تهديد دائم للشعب . فحسب دي فلاسيل انها اذا سُحبت الى الداخل سكت الشعب وخمد غضبه

فاجابه الاعضاء الى هذا الاقتراح وارسلوا هذا الوفد

واتفق عودة الشعب من الشارتره في هذا الوقت وهم يرغون ويزبدون ويطلبون سلاحاً . فحاول دي فلاسيل تسكين خواطرهم بان اقترح عليهم ان يصدر امراً بصنع الفاً من الحراب والرماح على عجل

فنظر اليه مارات بغيظ وقال لبيلو والذين حوله لا ريب ان هذا الرجل يغشنا . اذهب يا بيلو برجالك الى الباستيل وسارسل اليك بعد زمن قليل عشرين الف رجل مسلح

وكان بيلو قد سمع قبل اليوم باسم مارات (١) فان شهرة هذا الرجل لدى العامة كانت

---

(١) مارات — هو جان بول مارات الكاتب المشهور بتطرفه وشدة تاثيره على العامة ابان الثورة الفرنسوية . كان يحرر في ذلك الزمان جريدة « نصير الشعب » ويحرض فيها العامة على القتل والتطرف وكان يقول في جريدته انه لا تصلح امور فرنسا حتى تقطع ٣٠٠ الف راس من رؤوس رجالها الاشراف . وكان اكبر المحرضين على فتح الباستيل . ولد في سنة ١٧٤٤ وسيرد تفصيل الكلام عن اعماله الغريبة ابان الثورة في الاجزاء القادمة

عظيمة جدًا وتاثيره عليها اعظم . فعلم بيلوانه ممن اذا قالوا فعلوا . فجمع من كان مسلحًا من جماهير الشعب واستعد للمسير بهم الى الباستيل

اما مارات فوقف على مكان مرتفع وصاح : انا مارات اسمعوا لي كلمتين

فانصت الجميع بسرعة غريبة واصغوا اليه فقال لهم : تطلبون سلاحًا . فاجابت الالوف المجتمعة نعم نريد سلاحًا . فقال مارات . اتبعوني تجدوا ما تطلبون هلموا الى الانفاليد . ونزل للمسير في مقدمتهم

وكان دي فلاسيل يرى الجماهير من نافذة القصر وقد استعدت للسير فصاح بهم ايها الاخوان ما هذه الاوراق الخضراء التي في قبعاتكم

فوقف الشعب ملتفتًا الى الرئيس وكانت الاوراق المذكورة هي اوراق الشجر الخضراء التي وضعوها في قبعاتهم يوم حادثة كاميل دي مولين

فاجابته جماهير الشعب : انها رمز الى الامل

فقال الرئيس نعم ولكن الاخضر هو لون الكونت دارتوى وشعاره كما تعلمون . فهل تحملون شعار الامراء

فصاح الشعب لا لا . فقال دي فلاسيل فاحملوا اذًا ايها الاخوان شعار مدينتنا وامنا باريز وهو اللون الابيض والاحمر

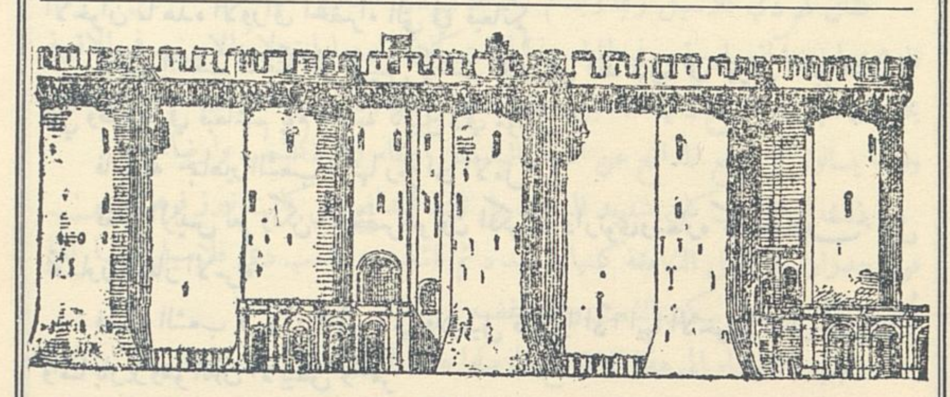
فصرخ الجميع نعم نريد شعار باريز الابيض والاحمر . ثم اخذ الجميع الاوراق الخضراء من قبعاتهم وداسوها باقدامهم (١)

فانفتحت عند ذلك نوافذ المنازل التي فوقهم بسرعة غريبة ووقعت منها شرائط وحمائل بيضاء وحمراء فتخاطفها الشعب وجعلوا قطعها في قبعاتهم . ولكنها كانت غير كافية لالف

(١) هذا هو اصل الراية الفرنسوية المثلثة الالوان . وبعد زمن قصير لاحظ الجنرال دي لافاييت الذي حارب في اميركا مع واشنطون لتحرير اميركا وسيرد الكلام عليه مع رسمه فيما يلي — ان اللون الازرق واللون الاحمر هما شعار اسرة اورليان فاضاف اليهما اللون الابيض فاصبح شعار حكومة الثورة الالوان الثلاثة : الابيض والازرق والاحمر وهي الوان الراية الفرنسوية الآن . وقد قال لافاييت كلمة شهيرة يوم اشار باضافة اللون الابيض اليها وهي : « انني اعطيكم الآن شعارًا سيطوف الكرة الارضية كلها » وصدق فان حروب فرنسا في هذه المائة سنة قد نشرت الراية الفرنسوية المثلثة الالوان في جميع اقطار العالم

منهم . فنزعت ستائر النوافذ وحلل الحرير وسواها فمزقت والقيت اليهم فتخاطفوها واتخذوا منها شعارهم

وبعد ذلك ساروا وهم فريقان فريق يلحق بمارات وهو يقصد الانفاليد في طلب السلاح وفريق يلحق ببيلو وهو يقصد الباستيل . وكان عدد هولاء ٥٠٠ او ٦٠٠ رجل ولكنهم قبل ان يصلوا الى الباستيل انضم اليهم اشد العامة تحمساً في الازقة المؤدية الى شارع سانت انطوان . واتفق وصولهم الى الباستيل عند وصول نحو مائة من جند الحرس الفرنسوي اليه مع جمهور آخر من العامة اتت من شارع سانت انطوان



لقينا عناء كثيراً في التفتيش عن رسم الباستيل لوضعه تحت انظار القراء لانه قد هُدم منذ بدء الثورة ولكن فزنا بعد تفتيش كثير في مكاتب اوربا ومصر بوجود رسمين في احدي الانسيكلوبيذيات هذا احدها وهو يمثل جدران الباستيل من الخارج . والرسم الثاني في ختام هذا الفصل

وكان امام جدران الباستيل فريق من الشعب واقفاً بعضهم ساخطون و بعضهم متخوفون فلما وصلت هذه المئات الثلاث زاد الساخطون سخطاً واجترأ المتخوفون فاخذ الناس ينظرون شزراً الى المدافع البارزة فوق اسوار الباستيل ويتهددونها بقبضاتهم صارخين . — فلتسقط المدافع . فلتسقط المدافع

واتفق في هذا الوقت ان اعناق المدافع سُحبت وغابت في نوافذ الباستيل . فصفق الشعب وهتف هتاف الفرح والابتهاج ظناً منه ان المدافع سُحبت ارضاء له واصبح اشد جرأة وتحمساً

وكان بعض حرس الباستيل يخطر على اسواره ذهاباً واياباً وكان من السويسيين فابصره الشعب فصار يصرخ : فليسقط السويسيون

وكأن واحداً من الشعب ملّ الصراخ فاخذ بندقيته واطلقهـا على الحارس . فوقع وصاصها على اعلى جدار الباستيل قرب المكان الذي كان يمر الحارس به ففتت الحجر ولكن الحارس لم يلتفت اليه كأن الرصاص لم يطلق عليه

اما الشعب فهاله لاول وهلة اطلاق النار على الباستيل . وكانت هذه الطلقة الاولى . فاخذوا يتجادلون ويتباحثون . وكثيرون منهم افتكر عند اطلاق النار على الباستيل انه جرم عقابه الاعدام

واما بيلو فكان ينظر الى تلك الاسوار الشاهقة التي امامه فخيل له ان الباستيل وحش هائل كالوحوش القديمة المصفحة بالحراشف القوية . ثم جعل يعد نوافذه التي تبرز منهـا فوهات المدافع وثقوبه التي تطلق منها البنادق كانها عيون للباستيل يرى بها اعداءه . فازداد علماً اذ ذاك بصعوبة الامر الذي اقدم عليه

وكان مارات قد وعده بارسال ٢٠ الف رجل مسلح كما مرّ بنا فوجد بيلو تحت اسوار الباستيل بين الجمع رجلاً وعده بارسال ٣٠ الفاً اخرى . وهذا الرجل هو كونشون المسمى بميرابو الشعب . فان مارات اوصى بيلو بالاعتماد على هذا الرجل لشدة تاثيره على العامة فطلبه بيلو ووجده فشجعه كونشون ووعده ليرسل اليه الوف الرجال ووعده انه ياتيه بهم قبل خروجه من الباستيل ومقابلته حاكمه

ثم شار كونشون في طريقه ودخل بيلو الى الباستيل لمخابرة الحاكم والشعب هائج مائج كانه البحر العجاج المتلاطم بالامواج

وكان بيتو يتبع بيلو فامره بيلو ان ينتظره خارج الباستيل لتذكير الشعب به اذا ابطأ ولم يخرج لشر يصيبه في داخل الباستيل

وكان امام مدخل الباستيل ووراءه جنود يحرسون الطريق وهي تؤدي الى مستقر حاكم الباستيل المسيو دي لوناي . فاظهر بيلو للجنود التذكرة التي كتبها له دي فلاسيل فتركوه يمرّ فسار حتى وصل الى الحاجز الحديدي الداخلي فوجد وراءه المسيو دي لوناي واقفاً

وكان المسيو دي لوناي حاكم الباستيل كهلاً بين الخامسة والاربعين او الخمسين سنة وكان في ذلك اليوم مرتدياً بثوب كتاني رمادي ولابساً شعار وسام سان لويس وهو يحمل في يده عصا في داخلها نصلة كبيرة شبيهة بالسيف . وكان هذا الرجل سيء الخلق من حيث المال فانه كان اشد الحكام الذين تقدموه عناية بجمع المال . وقد كان راتبه السنوي

٦٠ الف فرنك فكان يضيف اليها ٦٠ الف اخرى ياخذها رشوة من اية طريق اتت وكان للمسجونين في ذلك السجن الهائل تعزية جميلة وهي حديقة صغيرة كانوا يتنزهون فيها فلما اتى دي لوناي اجر هذه الحديقة رغبة في قليل من المال فحرم المسجونون نور الشمس وهواء السماء . وكان شديد العناية بالسجناء الاغنياء لانهم يشترون راحتهم باموالهم فربما اعطاهم بالمال كل شيء حتى عشيقته التي كان يُسكنها في الباستيل معه . ولو اردنا تعداد ما كان من هذا القبيل لضاق بنا المقام على اننا نرد طالب المزيد منه الى كتاب «فضائح الباستيل» فان فيه كلاماً كافياً

وكان المسيو ديلوناي مع ذلك رجلاً شجاعاً . فان الشعب كان يزئر منذ امس تحت اسوار الباستيل زئير الاسود و يقرع بلاط الاسواق بالسلاح وهو رابط الجاش وان كان اصفر اللون . وكان عنده في الباستيل اربعة مدافع وجنود من السويسيين والانناليد فلم يعبأ بيلو اذ رآه داخلاً عليه بل بقي ينتظره في مكانه وراء الحاجز الحديدي ولما اجتاز بيلو هذا الحاجز واغلق الباب وراءه سمع له بيلو صوتاً مخيفاً ارتعدت له فرائصه بالرغم عما هو مشهور به من ثبات الجاش وقوة القلب

واذ اصبح على مقربة من دي لوناي بادره هذا بالسؤال قائلاً بنزق

— وماذا تريد مني ايضاً

فقال بيلو تقول «ايضاً» مع انني لم ارك قبل الآن . قال اسرع واخبرني من اين قدومك . قال من الاوتيل دي فيل وهذا كتاب من المسيو فلاسيل . ثم اعطاه الكتاب فتناول دي لوناي الكتاب وقال له بعد تلاوته : فما هي حاجتك . قال حاجتي ان تسلمنا الباستيل

فقال الحاكم كانه لم يسمع كلام بيلو ماذا تقول

فقال بيلو اقول اني داخل الآن الى الباستيل باسم الشعب لاسالك ان تسلمه اليَّ

فهز الحاكم رأسه وكتفيه وقال . ان هذا الشعب حيوان لا يفهم الامور التي يطلبها.

فقال له بيلو ماذا تقول

فقال الحاكم وماذا يريد الشعب ان يصنع بالباستيل . قال يريد ان يهدمه . قال ولماذا يطلب هدم الباستيل مع انه ليس سجناً للشعب بل للفلاسفة والعلماء والاشراف والوزراء والامراء وغيرهم من اعداء الشعب

فقال بيلو ذلك يدل على ان الشعب عادل محب لذاته ولغيره على السواء فهو يكره الباستيل

ليس لانه سجنه بل لانه رمز الى الظلم والعبودية

فقال الحاكم يظهر لي انك لست من باريز ايها الرجل فلست تعرف ما في الباستيل من السلاح والذخائر والرجال فتعال معي لاريكها كلها

فخاف بيلو ان يكون الحاكم قد اراد به شرًا ولكنه تجلد وتشدد وسار وراءه

فاصعده الحاكم الى اسوار الباستيل واراه المدافع والحامية فلما راى بيلو المدافع وجدها لا تزال في اماكنها فقال انك لم تنزلها بعد · قال كلا ولكني سحبتها سحبًا · قال ولكني ساخبر الشعب بذلك فانه يطلب انزالها · قال اصنع ما تراه · قال وهل تطلقها على الشعب قال اذا بدأ الشعب باطلاق النار · فقد ارسل اليّ اليوم المجلس البلدي وفدًا يطلب مني وعدًا بان لا ابدأ باطلاق النار على الشعب وان اسحب هذه المدافع فوعدته وسحبتها

وفيما هما يتحادثان مدّ بيلو بصره من سطح الباستيل الى الشوارع التي تحته فابصر فيه الوفًا من الشعب متجهة نحو الباستيل كانها النمل في كثرتها · وكانت هذه الجماهير رجال مارات وكونشون اللذين وعدا بيلو بها

فلما وقع نظر حاكم الباستيل على هذه الالوف الجديدة التي كانت سائرة للانضمام الى الالوف المتجمعة تحت جدران الباستيل ثار الغيظ في نفسه فتقدم من بيلو وصاح بغضب ويل لك تدخل علينا للمخابرة بالسلم مع ان رفاقك يستعدون للحرب · هلموا الى المدافع ايها الجنود

فتقدم بيلو عند ذلك من الحاكم وقبض عليه من وسطه ورفعه عن الارض بكلتا يديه القويتين قائلاً : وويل لك انت ايضًا فانك تستحق ان اقذف بك من هذا الشاهق الى الحضيض فتتكسر اربًا اربًا

فارتفع في هذا الحين من تحت جدران الباستيل صراخ الوف من الشعب · وصعد ماجور الباستيل المسيو لوسم يطلب بيلو فلما رآه صاح به : اظهر نفسك لهذا الشعب بالحال فانه يثور ويصرخ ظنًا منه انه قد اصابك شرّ

فترك بيلو دي لوناي وقصد طرف الجدار واشرف من هنالك على جماهير الشعب فلما ابصروه صفقوا تصفيقًا شديدًا وهاجوا وماجوا · فكان بيلو وهو على اعالي الباستيل بمثابة روح الثورة الفرنسوية تدوس قمة الظلم بقدمها وتشرف منها على فرنسا وجميع اقطار العالم

وبعد ذلك، اخذ حاكم الباستيل يستعد للقتال فالتفت الى بيلو وقال له باسم الملك

آمرك بالخروج من هذا المكان

فقال بيلو مستهزئاً احذر فانك ان اخرجتني من هذا المكان باسم الملك فاني لا البث ان ادخل اليه باسم الشعب · ثم التفت بيلو الى جنود السويسيين والانفاليد وقال لهم : من اي حزب انتم · معنا اومعهم ؟ فصاح به دي لوناي · اخرج والا اخرجتك بالقوة

فقال بيلو باسم الامة و باسم اخوانك اطلب منك تسليم الباستيل وحقن الدماء

فقال دي لوناي لا تسمّ اخوتي اولئك الذين يصرخون : « فليسقط الباستيل وليمت حاكمه » فان هولاء اخوتك لا اخوتي

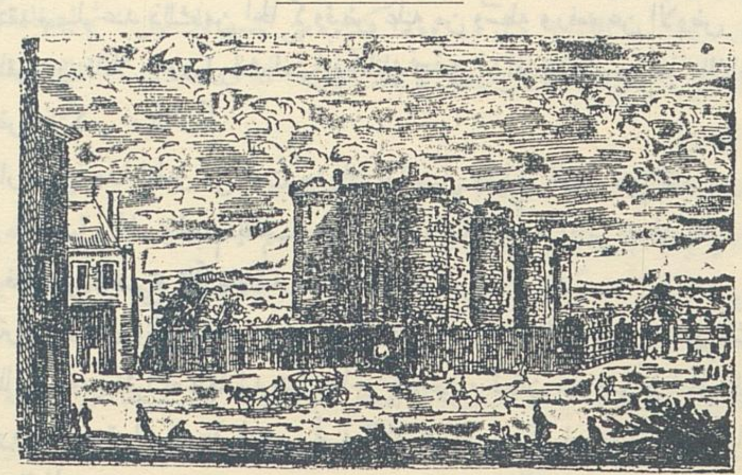
فقال بيلو اذاً اطلب ذلك منك باسم الانسانية

فقال دي لوناي ان الانسانية لا تطلب ان تهاجموا وانتم مائة الف رجل مائة رجل يقومون بواجباتهم في هذا المكان

فنادى بيلو الجنود قائلاً : سلموا ايها الاخوان تسلموا وتُحقن الدماء

فصاح به الحاكم حينئذٍ ملءَ فمه قائلاً · ان لم تخرج امرت باطلاق الرصاص عليك في الحال

فنظر اليه بيلو نظرة استخفاف كانه يقول له انك عاجز عن ذلك · ثم خرج الى الشعب الذي كان ينتظره بصبر فارغ



منظر الباستيل وشارع سانت انطوان من حيث هاجمه الشعب

وهو رسم تاريخي جليل

الفصل السادس عشر

(الباستيل)

ولما خرج بيلو من الباستيل ابصر الوف الشعب المؤلفة في هياج واضطراب فتقدم منه كونشون وساله ماذا جرى · فاخبره خبر الحاكم · فقال كونشون لقد قضى على نفسه

فقال بيلو ولكن كم من الدماء ستسفك في هذا النهار · فقال كونشون لا بأس فانه لا يوجد من الخبز ما يكفي نصف هذا الشعب فاذا مات النصف الثاني استراح واراح · ثم التفت الى الشعب وقال : الا تستحسنون هذا الراي ايها الاخوة · فنادى الشعب قائلاً : بحماسة غريبة — اصبت · اصبت

فقال بيلو وكيف نفتح الباستيل وبيننا وبينه خندق عظيم · فقال كونشون نملأ هذا الخندق من جثثنا فيجتاز عليها الباقون · ثم التفت الى الشعب وقال : الا ترون رايي ايها الاخوة · فاجابوه جميعاً نعم نعم نملأه بجثثنا

وفي هذا الحين ظهر على سطح السور المسيو دي لوناي حاكم الباستيل · فابصره كونشون فناداه قائلاً — ابدأ بالقتال · فادار له دي لوناي ظهره دون ان يلتفت اليه

ولو ان الحاكم تهدد كونشون لاحتمل كونشون تهديده الا انه لم يحتمل احتقاره ·

فتناول بندقيته واطلقها على الحاكم · فسقط احد رفاقه قتيلاً على سطح الباستيل

وكأن هذا الطلق كان علامة للجميع فان البنادق اطلقت على الباستيل من كل الجهات فاصاب رصاصها حجارته الصماء ففتتها

ثم ساد السكون كأن الشعب هاله الامر الذي اقدم عليه فلبث صامتاً

ولكن لم يطل هذا الصمت فان الباستيل ما لبثت اسواره ان تكللت بدخان كثيف واومض البرق في وسط ذلك الدخان وتلاه صوت كالرعد القاصف · فعلم الشعب ان هذا الصوت صوت مدافع الباستيل

ولم يكن يخطر في بال الشعب ان الباستيل يطلق نارًا عليه لان الشعب كان قد تعود ان ينال ما يطلب من الحكومة فحسب هذه المرة انه اذا طلب الباستيل ناله ايضاً · فلما رأى النار وسمع صوت المدفع وابصر الذين جُرحوا علم ان المركز حرج جدًا · الا انه لم يخطر له الفرار بالرغم عن حرج الموقف فانه كان كثير العدد وقد خجل من الفرار لكثرة عدده · فاجاب على مدافع الباستيل باطلاق البنادق مئات والوفاً · وكان رصاص هذه

البنادق لا يصيب الا جدران الباستيل مما جعل الشعب يملّ هذا القتال لانه كان لا يؤثر شيئاً

فتتالت الاقتراحات حينئذٍ لفتح الباستيل . فان رجال المطافىء اقترحوا ان يقذفوا الماء بمضخاتهم الى مدافع الباستيل فيطفئوا جذوات النار قبل ان تضرم البارود لاطلاق المدفع . ولم يذكروا ان المضخات لا توصل الماء الى اكثر من ثلثي اسوار الباستيل

ومنهم من اقترح ان يُقذف الباستيل بزيت قابل للالتهاب فيحترق

ومنهم من اقترح ان تبنى آلة للهدم كالآلة التي كان يستعملها الرومانيون فيفتحوا بها ثغرة في الباستيل و يدخلوا اليه منها

وكان بيلو سامعاً هذه الاقتراحات كلها فلم يعجبه منها شيء : ولكن خطر له امر فخرج من صفوف الناس وتقدم من الجسر الاول تحت مطر من الرصاص كان يحصد الارواح حصداً و بيده فاس عظيمة . ثم تدلى واخذ يضرب سلاسل الجسر لقطعها رغبة في المرور عليه الى ساحة الباستيل الاولى وكان الرصاص منصباً على الشعب وعلى بيلو كالبَرَد والشعب لاه عن نفسه بمشاهدة هذا الرجل الجريء الذي خاطر بنفسه هذه المخاطرة حتى اتى بيلو على قطع السلاسل وسقط الجسر . فصاح الشعب صياح الفرح واندفع على الجسر الى ساحة الباستيل الاولى

فعلم حاكم الباستيل من صراخ الشعب ان الشعب قد فاز بامر يطلبه . واذا بالمدافع الاربعة التي مرَّ ذكرها قد فتحت افواهها وقذفت ناراً مهلكة على الساحة الاولى فحصدت من فيها حصد المناجل السنابل في الحقول . فسقط من الشعب ١٠ او ١٢ رجلا قتيلاً و١٥ او ٢٠ جريحاً . ومنذ هذا الحين اصبح القتال شديداً وزاد موقف الشعب حرجاً

فبلغ الهياج والاضطراب مبلغهما وحميت نار القتال بين جنود الحاكم وجماهير العامة فطبقت السماء اصوات المدافع والوف البنادق . ورأى الضباط ان الجنود تضعف عزائمها فاخذوا هم انفسهم البنادق وصاروا يطلقونها

اما الشعب فكان قد استمات وهو يصرخ « نريد الباستيل » ومما زاده جراءة وحماسة ان جماعة الحرس الفرنسوي اتوا بمدفع وساروا يحاربون معه

ولكن في وسط الهياج والنار مصبوبة والشعب يجمع جرحاه وقتلاه ليخرجهم من ساحة العراك و ينتفع بسلاحهم ظهرت جماعة من الناس تحمل علماً ابيض وهي تشق الجماهير قاصدة الباستيل

فعلم بيلو بعد السؤال ان هذه الجماعة وفد ارسله المجلس البلدي الى حاكم الباستيل ليقترح عليه عدم اطلاق المدافع والكف عن القتال فلما علم بيلو بذلك طلب من كونشون الكف عن القتال ايضاً ريثما يرى جواب الحاكم . ذلك ان الشعب بازاء ما رآه من امتناع تلك القلعة قد اصبح راضياً بنصف انتصار اذا كان حاكمها يرضى بنصف انكسار

فامر كونشون اثنين من رجاله ان يكف الناس عن اطلاق النار فانسل هذان الرجلان بين الجمع ولم تنقض بضع دقائق حتى بطلت اصوات البارود وسكتت البنادق

ولما وصل الوفد الى الساحة الاولى سكتت نار الساحة الثانية واشير اليهم بالتقدم فتقدموا ودخلوا واقترحوا على الحاكم ذلك الاقتراح فصاح بهم الحاكم : «لا تطلبوا المستحيل ايها الباريزيون لقد بدأتم بالعدوان فلا تلوموا احداً غير انفسكم » واذ الحوا عليه تهددهم بمثل ما تهدد به بيلو وهو ان يامر باطلاق النار عليهم اذا لم يخرجوا على عجل فخرجوا ولما اصبحوا خارجاً علم بيلو وكونشون من وجوههم انهم اخفقوا سعياً . فصاح كونشون : قد قضى الله على هاته القلعة قضاء لا مرد له . الى السلاح ايها الناس

فعلت اصوات البنادق من الجانبين . وكان الوفد لم يغب بعد واذا بطلقات هائلة من المدافع قد حصدت الناس فاصاب الرصاص واحداً من الوفد فخر على الارض صريعاً

فلما راى الناس هذا الرجل يخر صريعاً وهو رسول سلام وذو صفة مقدسة محترمة عند جميع الشعوب غلت دماؤهم في عروقهم فبلغ الهياج منهم مبلغه وازدادت طلقات النار من الجانبين

ولكن الحاكم ورجاله احسوا بانهم مغلوبون بازاء عدد خصومهم وشدة تحمسهم وعنادهم . وراوا ان هذه الامواج العامية لم يبق شيء يردها ولا الموت . فتقدم الماجور دي لوسم رئيس حامية الباستيل وشرح ذلك للحاكم وذكر له ما سفك وما سيسفك من دماء الشعب قبل فوز احد الفريقين . فقال له الحاكم بوقاحة . وماذا تريد ان اعمل انسلم القلعة لهم . قال الماجور ولكنك تعلم انه يكاد لا يبقى لدينا ذخيرة وغداً لا يبقى لدينا مؤونة فنضطر الى التسليم . فلماذا رفضت اقتراح وفد المجلس البلدي من كف النار حقناً للدماء

فقال الحاكم انك تعتقد يامسيو دي لوسم انه يجب علينا الطاعة لهذا المجلس ورئيسه . فقال دي لوسم نعم يجب ذلك اذا لم يكن لدينا امر من الملك . فقال الحاكم اذا كان يجب علينا الطاعة للرئيس دي فلاسيل فتعال واقرأ

قال هذا واخرج من جيبه ورقة عليها بضعة سطور فقرأها دي لوسم فاذا فيها ما ياتي

« شد عزمك وادفع دفاعاً حسناً فانني اشغل الباريزيين بالوعود والحمائل وسيردك قبل « المساء نجدة من المسيو بزانفال « دي فلاسيل »

فقال دي لوسم بعد تلاوة هذه الورقة ومن جاءك بها . قال وجدتها ضمن الورقة التي جاءنا بها الرجل الذي طلب منا تسليم الباستيل . لقد حسب نفسه انه يجيئنا بالامر بفتحه وما درى انه يجيئنا بالامر باغلاقه

فسكت دي لوسم واطرق مفكراً . فقال له الحاكم : اذهب الآن الى مركزك يامسيو دي لوسم ولا تتركه الا اذا ناديتك . فاطاع الماجور ساكتاً . ثم تقدم الحاكم من الجنود وامرهم ان يحسنوا تسديد المدافع والبنادق على الناس فاطاعوا واطاعت المدافع كما اطاع دي لوسم

ولكن الشعب كان يجاوب على كل طلق ناري بصراخه « نريد الباستيل » ويرسل الى اسوار هذا البناء العظيم رصاص بنادقه ولعنات غضبه وانتقامه . وكان عند كل طلقة يزداد تحمساً وهياجاً وفي جملته نساء واولاد وشيوخ يقاتلون بحمية الشبان . وكانت الجموع التي حول الباستيل يبلغ عددها نحو مائة الف نفس مستميتة مستقتلة

وكان بيلو يفكر في الطريقة التي تنيلهم اكليل النصر . فان مدافع القلعة وبنادقها كانت تحصد الشعب حصداً وبنادق الشعب لا تؤثر الا في حجارة الباستيل لانها لا تصيب سواها . فخطر له على حين بغتة امر فصرخ ملء فمه . اريد مركبة . وكان بيتو بجانبه فصرخ اثنتين لا واحدة

فلم تمض برهة حتى جاء الناس بعشر مركبات

فصاح بيلو : واريد تبناً او قشاً . فصرخ بيتو : تبناً وقشاً . فجاء الشعب بعد برهة بمقدار عظيم منهما . ولو لم يصرخ بيتو « كفى كفى » لجاؤوا منهما بكومة يبلغ ارتفاعها ارتفاع الباستيل

فاخذ بيلو وبيتو وغيرهما من الرجال المركبات وملأوها قشاً ودفعوها امامهم بدلاً من ان يجروها جراً وتقدموا بها من الخندق الثاني الذي يفصلهم عن الباستيل وكان على هذا الخندق جسر مفتوح يجب قطع سلاسله ليسقط فيصبح صالحاً للمرور عليه . فاضرم بيلو النار في التبن وفي المركبة ليضعها على السلاسل فتحمى وتنقطع ويسقط الجسر . فلما

ابصر الحاكم ذلك هاج وماج وصاح برجال المدافع اصلوهم نارًا تشويهم شيًا . فاطلقوا عليهم نار المدافع والبنادق ولكن النار كانت تصيب القش فلا تؤثر شيئًا او تصيب المركبات فتكسرها دون ان تصيب الرجال الذين وراءها . وما زال هولاء الرجال يدفعونها وهي تلتهب حتى وضعوها على السلاسل . وكانت ساعة هائلة فان الرصاص كان ينصب عليهم كالبرَد والشعب ناظر اليهم وهو يجيب على رصاص المدافع برصاص البنادق

فصعد الحاكم الى سطح الباستيل ليرى اذا كانت النجدة التي وعدوه بها قداتت ولما لم يرَ شيئًا نزل وفي وجهه علائم الغضب والغيظ الشديد

وفي هذا الوقت سمع جلبة في الساحة الثانية فنظر ليعلم السبب فابصر ان سلاسل الجسر قد قُطعت . قطعتها النار وكرات المدفع الذي كان يطلقه الحرس الفرنسوي كما مر بنا فسقط الجسر وانفتح الحاجز الحديدي فاندفع الشعب بفرح وهياج عظيم قاصدًا دخول الباستيل

فعلم الحاكم انه قد ضاع كل امل . فهبت ريح الغيظ والياس في نفسه فتناول فتيلاً مضطرمًا وسار ركضًا الى قبو خصوصي في الباستيل

وكأن جنود الحامية قد ادركت الامر الذي يريده الحاكم فصاحوا : البارود البارود وركضوا يطلبون الحاكم

فادركه جنديان فوضعا حربتيهما في صدره ليحولا بينه وبين مراده

وكان الشعب ينظر اليهم دون ان يعلم سبب هذا المشهد . واذا بالحاكم يصيح ملء فمه : اذا كانوا يدخلون الباستيل فهذه النار في يدي وهذا مخزن البارود القيها فيه فانسف هذا السجن ونصف شارع سانت انطوان

فلما سمع الشعب هذا القول خيل لهم ان الارض تميد بهم . فاضطربوا وهم سكوت لا يدرون ماذا يقولون

وكان بيلو في مقدمتهم فلما سمع بنسف الباستيل ذكر الدكتور جيلبار فارتعدت فرائصه وخار عزمه

فكان مشهد مؤثر جدًا . فان الحاكم كان واقفًا وبيده الفتيل المضطرم لا يقتضي نسف الباستيل وهدمه حجرًا على حجر الا القاءه هذا الفتيل من يده في المخزن . وجنديان يحولان بينه وبين المخزن وحربتاهما على صدره والشعب واقف خارجًا وقفة الرهبة والسكون

واذا ببيلو يصيح بالشعب اذكروا المسجونين ايها الاخوة ولا تهجموا . فالتفت بعضهم

الى الحاكم وقال له ماذا تطلب . قال اطاب ان اسلمكم الباستيل تسليماً شريفاً . ارجعوا من حيث اتيتم لاكتب صورة التسليم . فرضي بيلو بذلك لانهم خافوا على المسجونين رحمة بهم ورجع الشعب من حيث اتى . فوضع الحاكم الفتيل المضطرم من يده وتناول قلماً وورقاً واخذ يكتب شروط التسليم

فساد الفرح والابتهاج في الشعب لانه فاز فوزاً عظيماً ولبثوا ينتظرون شروط الحاكم . وبعد هنيهة نُظر جندي يشير اليهم بحربته وعلى راسها ورقة فسار بيلو اليه ولكنه اضطر ان يجتاز الخندق على خشبة فما بلغ نصفها حتى هوت الخشبة فسقط في الخندق . فتبعه بيتو ركضاً وقد خاف على حياته

فارتفعت في هذا الوقت اصوات بنادق لا يُعلم من اين خرجت . فما سمعها الشعب حتى اندفع من جديد الى الباستيل لا يلوي على شيء . وكان اندفاعه الوفاً الوفاً كامواج البحر الهائلة . فلما رآهم الحاكم اراد ان يتناول الفتيل فسبقه اليه احد الجنود وداسه بقدمه فاطفأه . فاخذ الحاكم سيفه واراد الانتحار فاخذوه منه . ودخل الشعب الباستيل ظافراً منتصراً (١) بعد واقعة تشيب لهولها الولدان

وانتشر الناس في غرف ذلك السجن الهائل وصعد منهم بعض الى سطحه فلما ابصرتهم الوف الشعب المؤلفة المجتمعة في الخارج هتفت هتافاً كالرعد القاصف دوى صداه في الجهات الاربع . وكان ظهور هذه الجماعة على سطح الباستيل كظهور روح الحرية للعالم من فوق تلك الجدران القديمة الشاهقة

وهكذا استولى الشعب على الباستيل وسقطت امام ارادته القوية معالم الظلم والعبودية . واما تلك الطلقات التي اطلقت والشعب هادىء ينتظر شروط التسليم فكانت سبباً لهجوم الجماهير على الباستيل وفتحه عنوة واقتداراً فان سببها بقي مجهولاً ولم يُعرف الذين اطلقوها فكان الاقدار شاءت ان لا يوخذ الباستيل الا عنوة واقتداراً ولله حكمة لا تدركها العقول البشرية

---

(١) وقد جعلت الجمهورية الفرنسوية يوم فتح الشعب للباستيل عيداً رسمياً لها تحتفل به في كل ١٤ يوليو . ولما طار في اوربا خبر سقوط الباستيل في يد الشعب الفرنسوي تعانق الناس في اسواق بطرسبرج ولندره وغيرها فرحاً وابتهاجاً " بنهضة الاسد" من عرينه بعد نومه الطويل لاسقاط الظلم ورفع منار الحرية في العالم